١

الدلالة السياقية لأسماء الحيوان في الشعر الجاهلي

دراسة في قصائد المعلقات

د/ أحمد حسن العروسي، أستاذ النحو والصرف المساعد، بقسم اللغة العربية،

كلية اللغات، جامعة صنعاء

ملخص البحث:

يناقش البحث موضوع الدلالة السياقية لأسماء الحيوان في قصائد المعلقات كنموذج لدلالة الحيوان في الشعر الجاهلي، فقد لاحظ الباحث كثرة حديث شعراء المعلقات عن الحيوان وأوصافه وتعدد أسمائه والتشبيه به في مواقف وحالات مختلفة، ومن هنا جاءت فكرة البحث الرئيسة، وهي الكشف عما كان يجول في أذهان شعراء المعلقات من دلالات وتصورات ومعانٍ عبّروا عنها بذكر أسماء الحيوانات وصفاتها، ومدى تأثير قرينة السياق الاجتماعي والجغرافي والتاريخي وقرينة الموقف أو المقام والعادات والأعراف في إبراز تلك المعاني والمقاصد التي لم يصرح الشعراء بذكرها ولكنهم ألمحوا إليها بذكر ألفاظ الحيوان وصفاته.

وفي ضوء المنهج الوصفي التحليلي صُنفت ألفاظ الحيوان في قصائد المعلقات إلى أربع مجموعات رئيسة، تعبر كل مجموعة عن دلالة سياقية معينة، وهذه الدلالات هي: دلالة القوة والغلبة وتمثلها مجموعة الخيل، دلالة الحاجة والمنفعة وتمثلها مجموعة الإبل، دلالة العداء والتوحش وتمثلها مجموعة السباع، دلالة الحب والجمال وتمثلها مجموعة الظباء.

المقدمة

يختص علم الدلالة بدراسة النظريات اللغوية الحديثة التي تُعنى بتفسير المعنى، ومن أبرزها نظرية السياق المنبثقة عن المدرسة اللغوية الاجتماعية الحديثة التي عُنيت بالبحث الدلالي، وقدمت شرحاً مفصَّلاً لمفهوم السياق، وأنواعه، وقرائنه التي تسهم في تحديد المعنى وتفسيره.

وتُعد قرائن السياق من أهم الوسائل التي يستعان بها في الوقوف على دلالة النص وتفسيره، وهذه القرائن نوعان: قرائن داخلية، وهي التي توجد داخل النص نفسه، أي: تكون في بنيته التركيبية، وهي: القرائن الصوتية والصرفية والنحوية، وقرائن خارجية تحيط بالنص من خارج بنيته التركيبية، وهي ما يُعرَف بقرائن الظروف والملابسات التي يُستدل بها على المعنى، كقرينة الموقف والمقام والعادات والأعراف، وقرينة السياق الاجتماعي والجغرافي والتاريخي.

وفي ضوء معطيات علم الدلالة ونظرية السياق في تفسير المعنى تم اختيار موضوع هذا البحث وهو: الدلالة السياقية للحيوان في الشعر الجاهلي ـ دراسة في قصائد المعلقات، والدافع لاختيار هذا الموضوع ودراسته هو الحضور الملفت لألفاظ الحيوان في قصائد المعلقات، وكثرة حديث الشعراء عن الحيوان وعلاقتهم به وصحبتهم له، وذِكر خصائصه وطباعه، وتعداد أسمائه وصفاته، والتشبيه به في مواقف وحالات مختلفة.

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تهدف إلى الكشف عما كان يجول في ذهن الشاعر الجاهلي من دلالات وتصورات عبّر عنها بذكر ألفاظ الحيوان في قصيدته، ومدى تأثير السياق في الكشف عن الدلالات التي لم يصرح بها الشاعر وتضمنتها أسماء الحيوانات وصفاتها الواردة في شعره.

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، فتتبعت أسماء الحيوانات وصفاتها في قصائد المعلقات، فوجدتها تزيد على مائة اسم وصفة، فقمت برصد خصائصها العامة وصفاتها المشتركة، وحلَّلت الأبيات التي ذُكرَت في سياقها تحليلاً دلالياً، استُحضرت معه الظروف والمواقف والملابسات المحيطة بإنشاء القصيدة، كحالة الشاعر وعلاقته بمحيطه، فوجدت أن مجموع ما ذُكِر من أسماء الحيوان وصفاته في قصائد المعلقات ينضم كله في إطار أربع مجموعات رئيسية، هي: مجموعة الخيل، مجموعة الإبل، مجموعة السباع، مجموعة الظباء، ثم قمت بدراسة خصائص كل مجموعة

وصفاتها المشتركة، فخَلُصت إلى أن كل مجموعة منها تشير إلى دلالة سياقية معينة لدى جميع الشعراء، فمجموعة الخيل تدل على القوة والغلبة، ومجموعة الإبل تدل على الحاجة والمنفعة، ومجموعة السباع تدل على العداء والتوحش، ومجموعة الظباء تدل على الحب والجمال.

أمَّا المصادر المعتمدة في هذه الدراسة فهي الشروح الخاصة بالمعلقات، كشرح الزوزني وشرح الشيباني، فضلا عن شروح القصائد في دواوين الشعراء.

بدأت الدراسة بتمهيد بينت فيه:

- مفهوم الحيوان ومكانته في التراث العربي
- مفهوم الدلالة والسياق في الدرس اللغوي
- مفهوم الدلالة السياقية

أما موضوع الدراسة فقد قسمته على أربعة محاور، خُصِّص كل محور منها للحديث عن دلالة معينة، وتلك الدلالات هي:

- دلالة القوة والغلبة
- دلالة الحاجة والمنفعة
- دلالة العداء والتوحش
- دلالة الحب والجمال

أعقبتها بخاتمة فيها أهم النتائج، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

أرجو أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة إلى مكتبتنا العربية، يفيد منها الباحثون في الدرس اللغوي والمهتمون بخدمة العربية. والحمد لله على ما أعان ووفق وألهم وسدد.

الباحث

التمهيد

الحيوان والدلالة والسياق في التراث العربي والدرس اللغوي

أ. مفهوم الحيوان ومكانته في التراث العربي

١. مفهوم الحيوان لغة واصطلاحاً

الحَيَوانُ في معاجم اللغة: "جِنْسُ الحَيِّ" (١)، "والحَيَوانُ: الحيَاةُ، وكلُّ حَيٍّ حَيَوَانٌ (٢)"، "والحَياةُ والحَيَوان: مَصادِر، وَتَكُونُ الحَيَاة صِفَةً، والحَيَوانُ: اسْمٌ يَقَعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حيٍّ، وكلُّ ذِي رُوحٍ حَيَوان، وَالْجَمْعُ وَالْوَاحِدُ فِيهِ سَوَاءٌ، وأَصْلُهُ حَيَيانٌ، فَقُلِبَتِ الْيَاءُ الَّتِي هِيَ لَامٌ وَاوًا، اسْتِكْرَاهًا لِتَوَالِي الْيَاءَيْنِ لِتَخْتَلِفَ الْحَرَكَاتُ" (٣).

ومفهوم الحيوان في الاصطلاح لا يختلف كثيرا عن مفهومه اللغوي، فهو اسم جنس يقع على كل شيء حي (٤)، غير أنه في اصطلاح هذه الدراسة: اسم جنس يقع على كل كائن حي غير الإنسان.

٢. علاقة الحيوان بالإنسان العربي في العصر الجاهلي

كان الإنسان العربي - كما صوره الشاعر الجاهلي - يعيش حياة بدائية، معالمها الصحراء والأطلال، وأفرادها: المرأة والأصحاب والناقة والفرس والظّباء والوحش، وفي ضوء تلك الصورة يمكن القول إن الحيوان بأصنافه وأنواعه كان رفيق الإنسان العربي في العصر الجاهلي وصديقه وشريك حياته، فمنه ما قاسمه الحياة فعاش قريبا منه لا يفارقه أينما حل أو ذهب، كالخيل والإبل والنّعَم، ومنه ما عرفه في أسفاره ورحلاته، كالأسد والذئب والثور الوحشي وغيرها.

ويمكن القول إن علاقة العرب بالحيوان في العصر الجاهلي قد بلغت مستوى لم تصل إليه عند غيرهم من الأقوام، وأبرز الشواهد على ذلك أنهم أسموا أبناءهم بأسماء الحيوان تفاؤلاً بصفاته وخصائصه(٥)؛ فكان من أسمائهم: حِصان وأسد وكلب ونمرة وثعلبة وثور، كما أنهم ضربوا به

---

(١) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة: الثامنة، مؤسسة الرسالة، لبنان، ٢٠٠٥م، ص١٢٧٧.

(٢) المخصص، تحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م، ١/١٨٠، وينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ٢/١٢٢.

(٣) ـ ينظر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ، ١٤/٢١٤.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، (د.ت)، ١/ ٢١١.

(٥) الحيوان، للجاحظ تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة: الثانية، مكتبة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٦٥م، ٢/٢٧٢.

المثل، فقالوا: الخيل ميامين، والجواد يعثر، واستوق الجمل، وأجرأ من قسورة، وأصبر من حمار، وأحذر من ذئب[1].

ولعل الشاعر الجاهلي هو المدون الأول لتفاصيل تلك العلاقة المصيرية التي ربطت بين الحيوان والإنسان العربي الجاهلي، تمثل ذلك في كثرة حديث الشعراء عن علاقتهم بالحيوان وصحبتهم له، وذكر خصائصه وطباعه، وتعداد أسمائه وصفاته، والتشبيه به في مواقف وحالات مختلفة.

كما نال الحيوان في مدونات علماء العربية اهتماماً كبيرا، تمثل في حديثهم عن صفاته وخصائصه وأنواعه، وتقسيمهم له بحسب طبائعه إلى: ما يمشي ويسبح ويطير، وإلى: بري وبحري وبرمائي، وإلى: ما له دم وما ليس له دم، وإلى: أليف ومتوحش[2].

ب. مفهوم الدلالة والسياق في الدرس اللغوي

١. مفهوم الدلالة لغة واصطلاحا

قال ابن فارس: "الدّالُ واللّامُ أَصْلانِ: أَحَدُهُما إِبَانَةُ الشّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُها"[3]، والدِّلالَةُ فِي لِسانِ العَرَبِ مَصْدَرُ "دَلَّ يَدِلُّ إِذا هَدى، والدَّلِيل: مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ، والدَّلِيل: الدَّالُّ، وَقَدْ دَلَّه عَلَى الطَّرِيقِ يَدُلُّه دَلالة ودِلالة، والدَّلِيل: الَّذِي يَدُلُّك، والدِّلالة: مَا جَعَلْتَهُ للدَّلِيل أَو الدَّلَّال، والدَّلالة، بِالْفَتْحِ، حِرْفة الدَّلَّال، ودَلِيلٌ بَيِّن الدِّلالة، بِالْكَسْرِ لَا غَيْرُ"[4].

ولعل مفهوم الدلالة في الاصطلاح لا يختلف كثيرا عن مفهومها اللغوي، وهو إبانة الشيء والإرشاد إليه، وقد عرف الجرجاني الدلالة في الاصطلاح بقوله: "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"[5].

---

(١) ينظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، تحقيق: أحمد عبد السلام، محمد سعيد زغلول، الطبعة: الأولى، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٨م. ٥٤/١، ١١١، ٣١٢، ٣٣٢، ٥٧٧، ٢٠١/٢.

(٢) ينظر: الحيوان، للجاحظ ٢٧/١، والغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) تحقيق: محمد مختار العبيدي، الطبعة: الثانية، دار مصر للطباعة، ١٩٩٦م، ص٢٨١ وما بعدها، وفقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، ضبط وتحقيق: ياسين الأيوبي، الطبعة: الثانية، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ص٢٠٠، وحياة الحيوان الكبرى، لأبي البقاء كمال الدين محمد بن موسى الدمري، (ت٨٠٨هـ) الطبعة: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.، ٨/١، والحيوان في القرآن الكريم، لزغلول راغب محمد النجار، الطبعة: الأولى، دار المعرفة، لبنان، ٢٠٠٦ م. ص ٣٢٧.

(٣) مقاييس اللغة، مرجع سابق ٢٥٩/٢.

(٤) اللسان، ٢٤٩/١١، وينظر: الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٩٩٩م، ٣١٢/٢.

(٥) التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ. ص١٣٩.

وخصّ الجرجاني الدلالة اللفظية الوضعية بالتعريف فقال: "هي كون اللفظ بحيث متى أُطلِق أو تُخِيِّلَ فُهِمَ منه معناه للعلم بوضعه، وهي المنقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزام، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وُضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما لا يلزمه في الذهن بالالتزام، كالإنسان فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام"(١).

٢ . مفهوم السياق لغة واصطلاحا

السياق في اللغة مأخوذ من الجذر (س و ق)، قال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشيء، يقال: ساقه يَسوقه سَوْقا"(٢)، وفي لسان العرب: "ساق الإبل وغيرها يَسُوقُها سَوْقاً وهو سائق وسَوّاق، وتَساوَقَت الإِبلُ تَساوُقاً إِذَا تَتَابَعَتْ، وَكَذَلِكَ تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة، والمُساوَقة: المُتابعة، والسياق: المهر"(٣)، وقال الزمخشري: "هو يَسوق الحديث أحسن سِياق، وإليك سِياق الحديث، وهذا الكلام مَساقُه إلى كذا"(٤)، " وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"(٥).

وللسياق في اصطلاح علماء العربية ثلاثة مفاهيم، فعند اللغويين هو النص بما فيه من السوابق واللواحق(٦)، وعند البلاغيين هو الظروف التي ورد فيها النص أو قيل بشأنها، وهو ما يعرف بالمقام أو الحال، وعند الأصوليين هو الغرض، الذي يعبرون عنه بـ (مراد الشارع)، أي: ما يقصده المتكلم من إيراد الكلام(٧).

وفي الدراسات الحديثة أُخذ مصطلح السياق من اللفظ الانجليزي(context)، ومعناه: ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى، وهو نوعان: سياق لغوي ويسمى السياق الداخلي أو النصي،

---

(١) السابق، ص١٤٠.
(٢) مقاييس اللغة، ٣ /١١٧.
(٣) لسان العرب، ١٦٧/١٠ مادة (سوق).
(٤) أساس البلاغة، ص٣١٤.
(٥) المعجم الوسيط، ٤٦٥/١.
(٦) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ٢٠٠٤م. ص٣٧٢ .
(٧) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا ـ عادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م، ٨١٥/٤.

ويقصد به المكونات الصوتية والصرفية والنحوية، وسياق غير لغوي ويسمى السياق الخارجي أو سياق الحال والموقف، ويقصد به الظروف الخارجية البيئية والاجتماعية التي يَرِدُ فيها الكلام.[1]

ج. الدلالة السياقية

هي تلك الدلالة التي تسهم في تعيينها عدد من السياقات، إذ تُستمد من السياق اللغوي، وهو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، وتُستمد أيضًا من السياق الاجتماعي وسياق الموقف، ويسميها بعض اللغويين المسرح اللغوي، ويُقصد به المناسبة أو المقام أو الموقف الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره من متحدثين ومستمعين، وما يصاحب ذلك من الملابسات والقرائن والظروف والأحوال المشاهدَة وغير المشاهدَة التي تحيط بالحدث اللغوي وتحتاج إلى التأمل والاستدلال[2].

وهذه الدلالة هي محور بحثنا وموضوعه الرئيس، وهو ما سنناقشه بالتفصيل في أربعة محاور، خُصِّص كل محور منها للحديث عن دلالة سياقية معينة، وتلك الدلالات هي: دلالة القوة والغلبة، دلالة الحاجة والمنفعة، دلالة العداء والتوحش، دلالة الحب والجمال.

أولاً: دلالة القوة والغلبة

كان الإنسان العربي في العصر الجاهلي يعيش في بيئة تتسم بالقسوة والشدة، فظروف الصحراء فرضت نفسها على حياة الناس وأسلوب معيشتهم وعدم استقرارهم؛ إذ كانوا دائمي الترحال والتنقل من مكان إلى آخر بحثاً عن ظروف العيش المناسبة، فحيثما توفر الماء والمرعى أقاموا، ومتى أجدبت ارتحلوا، فكان ذلك سبباً في تنافس القوم وتحرش بعضهم ببعض، وفضلا عن ذلك فإن ما نشأ عليه العربي من عزة النفس وكبريائها والتفاخر بالنسب وكثرة المال والولد والتعصب للقوم والعشيرة،

(١) ينظر: دور الكلمة في اللغة، لاستيفن أولمان، ترجمة وتقديم وتعليق: الدكتور كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة، القاهرة، الطبعة: الثانية عشرة، (د.ت). ص٥٧.

(٢) ينظر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، للدكتور فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م، ص٥٦، ودلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، للدكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دار المنار، القاهرة، ١٩٩١م. ص٢٠٨، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي للدكتور محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٢م.، ص٢١٥، واللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٣٧، وينظر: الخصائص، ٢٠٢/٢، ٢٧١، ودلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.، ص٢٦٢.

كل تلك الهواجس وغيرها جعلت الإنسان العربي يسعى دائما إلى البحث عن العوامل التي تمكنه من القوة والسطوة وتحقق له العزة والمنعة والغلبة.

ولّما كانت الفروسية ومهاراتها و وسائلها وأدواتها هي أبرز وسائل القوة والغلبة في ذلك العصر فقد كانت من أهم ما يشغل رجال القبيلة وفتيانها وشعرائها، فالفروسية هي أساس السيادة والقيادة، فمن برز فيها وأجادها حاز الشرف في قبيلته ولقب بفارسها، فكان الفارس هو المدافع عن قبيلته وحامي حماها وحامل لوائها بين القبائل، وهو مفخرة قومه، يشيد به عامتهم ويكرمه وجهاؤهم ويمتدحه شعراؤهم، وكانت تلك المكانة هدف الشباب الطامحين من أفراد القبيلة، يحرصون على الأخذ بأسبابها بالتدريب على ركوب الخيل واكتساب صفات القوة والشجاعة، وكان من عادة القبائل تدريب أبنائها على ركوب الخيل منذ سن مبكرة، فينشؤون وقلوبهم معلقة بصهوات الخيل وأعنتها.

ويمكن القول إن العرب قد أحبوا الخيل حبا ليس له مثيل عند غيرهم من الأمم، فقد عظموها وأكرموها و"أعزوها وحدبوا عليها وافتخروا بها، لأنهم كانوا يمتطونها في كرهم وفرهم، لأنها أكثر عوناً وأسرع حركة، فكان الرجل منهم ينام جائعاً ويشبع فرسه، فيخصونها بلبن الإبل فتقوى وتعتز"[1].

وقد بلغ من إعزازهم الخيل أن أحد فرسانهم وهو عبيد بن ربيع التميمي رفض طلب أحد الملوك أن يعطيه فرسَه التي تسمى سكاب، وتَوَعّد الملكَ بالحرب إن حاول أخذها منه عنوةً، وخاطب الملك بأبيات قال فيها:

أَبَيْتَ اللَّعْنَ إنّ سَكَابَ عِلْقٌ ❖❖❖ نَفِيسٌ لا يُعَارُ ولا يُبَاعُ
مُفَدَّاةٌ مُكَرَّمَةٌ عَلَيْنَا❖❖❖ يُجَاعُ لَهَا العِيَالُ ولا تُجَاعُ[2]

ولا غرابة في حرص الإنسان العربي على الخيل واعتزازه وفخره بها، فهي التي يعتمد عليها في سلمه وحربه، وهي فرسه المدللة الغالية الأصيلة التي تعينه على النصر وتحميه من الأعداء[1].

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، للدكتور أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٥٢م.، ص٢٥٧.

(٢) البيت منسوب للقحيف العقيلي في الحماسة البصرية، لعلي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري (المتوفى: ٦٥٩هـ)
تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب – بيروت، د.ت. ٧٨/١.

ولأن الشعراء في العصر الجاهلي كانوا المتحدثين بلسان قومهم والمعبرين عن عاداتهم وتقاليدهم، فقد جعلوا للخيل في قصائدهم حيزا واسعا من الذِّكر ونصيبا وافرا من المدح والثناء وإبراز مزاياها وإظهار جميل صفاتها، حتى تعددت أسماؤها وتنوعت صفاتها وجرى القول فيها مجرى المثل والحكمة، وكل ذلك كان يأتي في سياق حديث الشعراء عن الحرب و القتال و وصفهم أحداث المعارك وإبراز دور الفرس في مجريات المعركة التي تحدث بين فارس وآخر أو بين عدد من الفرسان، فكان الشاعر يصور طبيعة المعركة من خلال وصف الفرس، فيذكر "سرعته وحمرته ونشاطه، وضمور خصره، وعدْوَه ونَزْوَه، وطول فخذيه، وذكاء قلبه، وقوة صُلبه"، وانتصاب قامته وشدَّة تحمله الكر والفر وصبره على طول القتال وصولا إلى تحقيق النصر في الحرب وترسيخ مفهوم قوة القبيلة وغلبتها وتفوقها.

ولما كانت الخيل في العصر الجاهلي هي أهم عوامل القوة اللازمة للنصر في الحروب والتغلب على الأعداء والخصوم في المعارك، فقد صار لاسمها دلالة على الحرب والقتال والقوة والغلبة [٢]، إذ إنّها تذكر عند جميع الشعراء في سياق ذكرهم الحرب وتصورهم القتال في المعارك وحديثهم عن القوة والغلبة على الأعداء، حتى صار ذلك عرفاً شائعا عند عامة القوم في المجتمع الجاهلي فضلا عن شعرائهم.

فها هو شاعر المعلقات الأول (**امرؤ القيس**) يشير إلى تلك الدلالة في قوله:

وقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُناتِها ❖❖❖ بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَـــلِ [٣]

(١) ينظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص٢٦٢.

(٢) العلاقة الدلالية القائمة بين مفهوم (الحرب والقتال) ومفهوم (القوة) هي علاقة التزام كون الحرب تستلزم القوة، والعلاقة الدلالية القائمة بين مفهوم(القوة) ومفهوم(الغلبة) هي علاقة اقتضاء، كون القوة تقتضي الغلبة، ونظرا للارتباط القائم بين مفهوم الحرب والقتال ومفهوم القوة والغلبة يمكن تسمية هذه الدلالة بدلالة القوة والغلبة أو الدلالة الحربية القتالية، ولذلك قد يجد القارئ في هذا المبحث أننا أحيانا نستعمل أحد الاسمين وأحيانا نستعملهما معا.

(٣) ينظر: ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٩٨٤م، ص ص٣٧٠.

في هذا البيت يتحدث الشاعر عن الخيل في ظل سياقين: سياق الحديث عن الصيد وهو الهواية التي تعرض صاحبها للخطر فلا يجرؤ على ممارستها إلاَّ من ملك زمام الفروسية وتفوق في ركوب الخيل، وسياق الفخر بالذات وبالصفات التي يتفوق بها على غيره، كالشجاعة في مواجهة مخاطر السفر ليلا، والقدرة على طيّ الفيافي والقفار وغيرها من الصفات التي لا يقوم بها إلا شجاع قوي مقتدر، فكأنه يمهد بذكر تلك الصفات لما سيقوله لاحقاً، وهو أنه لم يتحل بتلك الصفات إلاَّ لأنَّه رفقة جواد قويٍ أصيلٍ لديه قدرة على تحمل عناء الأسفار وقطع الفيافي والقفار في ذلك الليل الموحش قبل أن تتحرك الطيور من أوكارها، وفضلا عن ذلك فهذا الفرس سريع في سيره (منجرد) لا يكل ولا يتعب حتى يدرك به الصيد فلا يفلت منه وكأنه قد قيده بقيدٍ لا يستطيع معه الهرب، وكل هذه الأوصاف قد جاءت متضمّنة في البيت ويمكن للسامع أن يستنتجها من سياق الموقف والمقام الذي قيل فيه البيت وهو مقام الفخر. ويؤكد الشاعر تلك الصفات الضمنية في الفرس بذكر صفاته الصريحة التي تدل دلالة واضحة على قوته وقدرته على الغلبة سواء أكان في معركة صيد أم في معارك الحرب والقتال، فيقول:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًـــا ❖❖❖ كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

ففي هذا البيت تتعدد الأوصاف التي خلعها الشاعر على فَرسه، من الكر والفر والإقبال والإدبار، وهي أوصاف تحمل معنىً بعيداً قصده الشاعر وأفصح عنه بالتشبيه في عجز البيت نفسه، فالفرس عظيم قوي اجتمعت في قوته صفات تبدو متضادة(مِكَرٍّ، مِفَرٍّ، مُقبلٍ، مُدبرٍ)، وهذه الصفات التي تشير بوضوح إلى الحرب والقتال، تبدو كأنها وصف لأحداث معركة وهي ليست كذلك، إذ ليس هناك حرب في الحقيقة ولا وجود لمعركة، وإنما هي صفات ثابتة في الفرس، ذكرها الشاعر ليرمز بها إلى معنى القوة والغلبة في القتال والحرب، وهنا يمكن القول: إن دلالة هذ الفرس على القوة والغلبة في الحرب هي دلالة واضحة وثابتة كثبوت صفات الفرس ووضوحها فيه.

ولعل التشبيه الوارد في عجز البيت يؤكد تلك الدلالة، حيث شبه الفرس بالصخرة العظيمة التي يقذف بها السيل من قمةٍ عالية إلى قاعٍ سحيق، وهو تشبيه يؤكد قوة الفرس في كره وفره في المعركة أو في لحاقه بالصيد، ونلاحظ هنا أن الشاعر لم يشبه الفرس في حالة سكونه بالصخرة في

حالة سكونها بل أقام التشبيه بينهما في حالة حركتهما، وحركة الفرس هي حركة الحرب التي في ذهن الشاعر وليست أي حركة أخرى غيرها، بدليل أنه كان بإمكانه تشبيه الفرس بالصخرة الجاثمة أو بالجبل الأشم وهي صورة هادئة ساكنة لا حراك فيها، ولكنَّه اختار الصورة المتحركة، وهي الصورة التي تهوي فيها الصخرة منحدرةً من الأعلى إلى الأسفل لتكون الصورة الحسية مكتملة في ذهن المتلقي، وهي أن الفرس حين إقباله على العدو أو الصيد يعدو عدوا سريعا فيلقي بنفسه وبثقله على العدو أو الصيد بقوةٍ شديدة لا تترك له فرصة للفرار أو الحركة أو الحياة، فكأنه وقع تحت صخرةٍ عظيمةٍ سقطت من قمةٍ مرتفعة فهل ستبقى له بعد ذلك فرصة للحياة، وفي هذه الصورة المتحركة دلالة واضحة على معنى الحرب والقتال والقوة والغلبة، ولو أن هذه الدلالة لم تكن هي المقصودة في ذهن الشاعر لقام بتشبيه الفرس في حال سكونه وعدم تحركه بالصخرة الثابتة التي لا يقدر السيل على تحريكها، ولكنه لم يقصد تلك الحال الساكنة ولا ما تتضمنه من دلالة، وهذا يؤكد أن الفرس في ذهن الشاعر الجاهلي كان دائماً يتضمن دلالة على الحرب والقتال وعلى القوة والغلبة ولو لم يفصح الشاعر عن ذلك بصريح العبارة.

والخلاصة فيما ذكره الشاعر في هذا البيت أن أوصاف الفَرَسِ تدل على سلامته وقوته وصلاحه للركوب، وتدل أيضا على الصورة التي تدور في ذهن الشاعر وخياله وهي صورة المعركة والقتال، كما تدل أيضا على أن السياق الذي قيل فيه البيت هو سياق فخرٍ أو تحدٍّ أو استعدادٍ لخوض الحرب والنيل من العدو، وكل تلك الدلالات ثابتة بمعنى النص وهي دلالات واضحة، والعلم بها لا يحتاج إلى كثير تأمل، لأن علم السامع بأي وصْفٍ من تلك الأوصاف يقتضي علمه بالشيء الذي ذُكر لأجله ويكون لازما من لوازمه.

وإذا كان البيتان السابقان قد بيّنا أن دلالة الخيل السياقية في شعر امرئ القيس ترمز إلى الحرب والقتال والقوة والغلبة، فإنه في الأبيات التالية يؤكد هذه الحقيقة ويزيدها وضوحا، إذ يقول واصفا فَرَسَه:

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ ❖ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزَّلِ
عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ ❖ إِذَا جَاشَ فِيْهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ
مِسَحٍّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَنَى ❖ أَثَرْنَ الغُبَارَ بِالكَدِيْدِ المُرَكَّلِ
يُزِلُّ الغُلاَمُ الخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ ❖ وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيْفِ المُثَقَّلِ
دَرِيْرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيْدِ أَمَرَّهُ ❖ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

لَـهُ أَيْطَـلا ظَبْـيٍ وَسَـاقَا نَعَـامَةٍ ❖ وَإِرْخَـاءُ سَـرْحَانٍ وَتَقْرِيـبُ تَتْفُـلِ
ضَـلِيعٍ إِذَا اسْتَـدْبَرْتَهُ سَـدَّ فَرْجَـهُ ❖ بِضَـافٍ فُوَيْـقَ الأَرْضِ لَـيْسَ بِـأَعْزَلِ
كَـأَنَّ عَلَـى المَتْنَـيْنِ مِنْـهُ إِذَا انْتَحَـى ❖ مَـدَاكَ عَـرُوسٍ أَوْ صَـلايَةَ حَنْظَـلِ
كَـأَنَّ دِمَـاءَ الهَادِيَـاتِ بِنَحْـرِهِ ❖ عُصَـارَةُ حِنَّـاءٍ بِشَيْـبٍ مُرَجَّـلِ

إلى أن يقول:

فَعَـادَى عِـدَاءً بَـيْنَ ثَـوْرٍ ونَعْجَـةٍ ❖ دِرَاكـاً وَلَـمْ يَنْضَـحْ بِمَـاءٍ فَيُغْسَـلِ
ورُحْنَـا يَكَـادُ الطَّـرْفُ يَقْصُـرُ دُوْنَـهُ ❖ مَتَـى مـا تَـرَقَّ العَيْـنُ فِيْـهِ تَسَفَّـلِ
فَبَـاتَ عَلَيْـهِ سَرْجُـهُ ولِجَامُـهُ ❖ وَبَـاتَ بِعَيْنِـي قَائِمـاً غَيْـرَ مُرْسَـلِ

لقد أبدع الشاعر في أبيات متتالية ـ في وصف الفرس وتفنن في رسم صورته الجميلة بالحروف والكلمات، وخلاصة المشهد في تلك اللوحة أن الفرس "كامل الحُسن رائع الصورة تكاد العيون تقصر عن كُنه حسنه، ومهما نظرت العيون إلى أعالي خَلقه اشتهت النظر إلى أسافله"، وفي ثنايا هذه اللوحة الفنية ركز الشاعر على سبعة أوصاف للخيل جعلها ظاهرة أكثر من غيرها، وهي: الكُمَيْت: الذي لونه ما بين الأحمر والأسود، والدِّبْل: الضامر البطن، والجَيّاش: الهائج المضطرب، والمِسَح: المُندفِعُ في جريه كالسيل المُنْصَبُ، والسَّابح: الذي يمد يديه في العدو كأنه يسبح في الماء، والدَّرِير: الدائم المتتابع المتواصل، أي: يديم الجري دون انقطاع، والضَلِيع: العظيم الأضلاع المنتفخ الجنبين. ومن هذه الأوصاف يمكن استنتاج عدد من العلاقات الدلالية، فإذا كان من صفات الفرس أنه عظيم الأضلاع ضامر البطن هائج، يعدو مندفعا كالسيل فذلك يقتضي أنه قوي وفارسه سيكون متغلبا، فالعلاقة هنا هي علاقة اقتضاء، وتكون العلاقة الدلالية بين مفهوم الحرب والقتال ومفهوم القوة والغلبة هي علاقة التزام، لأن الحرب والقتال يستلزمان القوة، والعلاقة الدلالية بين مفهوم القوة ومفهوم الغلبة هي علاقة اقتضاء أيضاً، لأن القوة تقتضي الغلبة، وبالعكس فإن العلاقة الدلالية بين مفهوم الغلبة ومفهوم القوة هي علاقة التزام، كون الغلبة تستلزم القوة.

وفي معلقة **زهير بن أبي سلمى** ذكرت الخيل باسم(الملجم)، وذلك في سياق حديث زهير عن حصين بن ضمضم أحد سادة قبيلة ذبيان الذي رفض الدخول في الصلح بين قبيلته وقبيلة عبس حتى يقوم بثأره من قاتل أخيه، فقال زهير مخبراً عنه:

لَعَمْـري لَنِـعْمَ الْحَـيّ جَـرّ عليـهِمُ ❖ بمـا لا يُـؤاتيهمْ حُصَـينُ بـن ضَمضَـمِ
وكـانَ طَـوَى كشـحًا على مُسْتَكِنّةٍ ❖ فَـلا هُـوَ أبْدَاهـا وَلَـمْ يَتَقَـدّمِ
وَقَـالَ سَأَقْضِـي حَـاجَتِي ثُـمّ أَتّقِـي ❖ عَـدُوّي بِـأَلْفٍ مِـنْ وَرَائِـيَ مُلْجَـمِ
فَشَـدّ فَلَـمْ يُفْـزِعْ بُيُوتًـا كثيـرَةً ❖ لـدى حَيْـثُ ألقَـتْ رَحلَهـا أمُّ قشـعمِ [1]

أي أنه سيقضي حاجته بقتل قاتلِ أخيه أو قتلِ كفءٍ له، ثم يجعل بينه وبين عدوه ألف فارس مُلْجَم فرسُه، وهو تعبير يحمل دلالة الاستعداد للحرب والقتال، لأن الخيل المُلجَمة هي المتأهبة لخوض المعارك والقتال، وبهذا تكون الخيل عند زهير تحمل نفس الدلالة عند امرئ القيس، ولو أنه لم يذكرها إلاَّ مرةً واحدة في معلقته.

وفي معلقة لبيد بن ربيعة ورد اسم الخيل مرتين، مرَّةً باسم (الفُرُط)، ومرَّةً باسم (الجرداء)، وذلك في قوله:

ولقَـد حَمَـيْتُ الحَـيّ تَحْمِـلُ شِكَّـتِي ❖ فُـرُطٌ، وِشاحـي إذْ غـدوتُ لِجامُهـا
حتـى إذا ألْقَـتْ يـداً فـي كـافـرٍ ❖ وَأجَـنّ عَـوْرَاتِ الثُّغُـورِ ظَـلامُها
أسْهلْـتُ وانتصَـبتْ كجـذعِ منيفَـة ❖ جَـرْدَاءَ يَحْصَـرُ دونـها جُرّامُهـا [2]

والفُرُطُ والجَرْداءُ من أوصاف الخيل، ودلالتهما القتالية واضحة، أمَّا(الفُرُطُ) فدلالته واضحة من لفظِه، لأنه بمعنى المتقدم السريع الخفيف، والسرعة والخفة من الصفات الأصيلة التي تتفاضل بها الخيل وتدل على قدرتها على حمل صاحبها في الحرب والقتال، والعلاقة الدلالية هنا هي علاقة لزوم وعلاقة اقتضاء، فالسرعة والخفة تستلزم القوة، والقوة تقتضي الغلبة، وأمَّا الجرداء فهو لفظ أطلقه الشاعر على فرسه في سياق وصفه بالنشاط وسرعة العَدْوِ وانتصاب العنق أثناء القتال، كما توحي الأبيات الثلاثة التي تتبع هذا البيت:

رَفَّعْتُهَـا طَـرَدَ النّعـامِ وَشَلَّـهُ ❖ حتـى إذا سَخِنَـتْ وَخَـفّ عِـظامُها
قَلِـقَتْ رِحَالَتُـهَا وَأسْـبَلَ نَحْرُهَـا ❖ وابتـلّ مـن زَبَـدِ الحمِـيمِ حِزَامُهَـا
تَرْقَـى وَتَطْعُـنُ فِي العِنَـانِ وتَنْتَحِـي ❖ وِرْدَ الحمَـامَـة إذ أجَـدّ حَمَـامُها

(١) ينظر: شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزَّوْزَني، (ت ٤٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص١٤٦.

(٢) ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.، ص ١١٤.

فالشاعر يقول: إنه استطاع حماية قبيلته لأن معه فرس سريعة العدو، وأن هذه الفرس لم تكن تفارقه، حتى أنه كان يتوشح لجامها كي يظل قريبا منها فيسرع في ركوبها عند أي طارئ، على نحو ما وقع معه ذات ليلة حين لمح عدوا يحوم حول القبيلة فطارده كما تطارد النعام، وكانت فرسه تعدو وهي رافعة عنقها نشاطا كأنها تطعن بعنقها في عنانها، ومن شدة سرعتها التي تشبه سرعة الطير أن سرجها كان يضطرب على ظهرها والعرق يسيل من نحرها حتى يبلل حزامها.

فالمشهد مشهد حرب وقتال، والأبيات تعيش بنا مع فرسٍ يخوض غمار معركةٍ تتطلب القوة وتهدف إلى الغلبة، فالدلالة الحربية القتالية للفرس تفصح عن نفسها في ظاهر الأبيات وباطنها.

وفي معلقة **عمرو بن كلثوم** نجده يذكر للخيل عددا من الأسماء والصفات، فهي: [الخيل والجياد والفَرَس والصُفُون والجُرْد]، وكلها أسماء وصفات تحمل دلالة الحرب والقتال وتشير إلى معنى القوة والغلبة، ويتضح ذلك في قوله:

وَسَـــيِّدِ مَعْشَـــرٍ قَـــدْ تَوَّجُـــوه ❖ بِتَـــاجِ الْمُلْـــكِ يَحْمِـــي الْمُحْجَرِينـــا
تَرَكْنَـــا الخَيْـــلَ عَاكِفَـــةً عَلَيْـــهِ ❖ مُقَلَّـــدَةً أَعِنَّتَـــهَا صُفُوْنَـــا[1]

فالخيل اسم والصفون صفة، وهما يحملان دلالة القوة والغلبة والاستعداد للحرب والقتال، إذ إنه يذكرهما في مقام الافتخار بنفسه وبقوة قومه، وأن أي ملك أو عدو يريد إذلالهم فإنهم سيقدرون عليه وسيقتلونه ويجعلون خيلهم التي قلدوها الأعنة قائمة عنده على ثلاث قوائم (صافنة)، استصغارا له.

ويصف الخيل بالجُرْد في قوله:

وَتَحْمِلُنَـــا غَـــدَاةَ الـــرَّوْعِ جُـــرْدٌ ❖ عُـــرِفْنَ لَنَـــا نَقَـــائِذَ وَافْتُلِيْنَـــا
وَرَدْنَ دَوَارِعًـــا وَخَـــرَجْنَ شُـــعْثًا ❖ كَأَمْثَـــالِ الرِّصَـــائِعِ قَـــدْ بَلِينَـــا
وَرِثْـــاهُنَّ عَـــنْ آبَـــاءِ صِـــدْقٍ ❖ وَنُورِثُهَـــا إِذَا مُتْـــنَا بَنِيـــنا

أي: وتحملنا في الحرب خيل رقاق الشعور قصارها، عُرفن لنا وفُطمت عندنا وخلصناها من أيدي أعدائنا فأنقذناها منهم بعد استيلائهم عليها، وقد عادت هذه الخيل وعليها دروعها التي تقيها من الجراح في الحرب، وحين نزعت عنها الدروع تركت آثارها على أجساد الخيل فبدت شعثاء بسبب ما

(١) ينظر: شرح المعلقات السبع للزوزني، مرجع سابق، ص ٢٢١.

أصابها من التعب والمشاق، فهي خيل أصيلة تتحمل المشقة، وقد ورثاها من آباء كرام شأنهم الصدق في الفعال والمقال وسوف نورثها أبناءنا بعد مماتنا.

فالأجرد من الخيل هو الذي قَصُر شَعره ورَقّ، وهذه الصفة تساعد الخيل على الخفة والسرعة وقت الفزع، ودلالة الخيل على القوة والغلبة وعلى الحرب والقتال أوضح ما تكون في هذه الأبيات.

ويكرر الشاعر ذكر الخيل بلفظ الأفراس والجياد، وذلك في سياق حديثه عن الحرب التي خاضها الشاعر وقومه دفاعا عن حرمة نسائهم اللواتي كن يحرضنهم على الغزو والقتال كي لا يقعن سبايا في أيدي الغزاة، فقال:

عَلَـــى آثَارِنـــا بِـــيضٌ حِسَـــانٌ ❖ نُحَـــاذِرُ أَنْ تُقَسَّـــمَ أَوْ تَهُونَـــا
أَخَـــذْنَ عَلَـــى بُعُـــولَتِهِنَّ عهـــدًا ❖ إِذَا لَـــاقَوا كَتَائِـــبَ مُعْلِمِينَـــا
لَيَسْـــتَلِبُنَّ أَفْرَاسًـــا وَبِيضًـــا ❖ وَأَسْـــرَى فِـــي الْحَدِيـــدِ مُقَرَّنِينَـــا
يَقُتْـــنَ جِيَـــادَنَا وَيَقُلْـــنَ لَسْتُـــمْ بُعُوْلَتَنَـــا إِذَا لَـــمْ تَمْنَعُوْنَـــا

فالنساء يعلفن الجياد استعدادا للحرب ويحرضن أزواجهن على خوض المعارك لقتال الأعداء وأَسْرِهم وسلْب أفراسهم، فذكر اسم (الجياد) وهي تعلف جاء في سياق الحديث عن الحرب والقتال واستدعاء القوة اللازمة للغلبة والانتصار.

وعلى نحو ما سبق نجد **عنترة بن شداد** يذكر في معلقته عددا من أسماء الخيل وصفاتها، ومنها: الأدهم: الفرس الأسود ويعد من أجود أنواع الخيل، والمُلْجَم: الفرس الذي أُلبس اللجام استعدادا للركوب، والسابح: الفرس الذي يمد يديه في العدو كأنه يسبح في الماء، والشَّيْظَم: الطويل من الخيل، والأجرد: القصير الشعر.

فقد ذكر الأدهم في سياق المقارنة بين حالته في تكبد عناء الأسفار وخوض الحروب وحالة المحبوبة التي تعيش آمنة مرفهة تنعم بالنوم والراحة في فراشها الوثير، فقال:

تُمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ ❖ وَأَبِيتُ فَوْقَ سَرَاةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ[1]

(١) ينظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص٢٥٠.

أي إن الحبيبة المترفهة لا تشعر بما يقاسيه من الشدائد في الأسفار والحروب التي بسببها يقضي معظم أوقاته على صهوة جواده الذي لا يفارقه لجامه، وهو إما مسافر لطلب صيد أو لخوض حرب، وهنا تشير دلالة الخيل الأدهم المُلجَم إلى مفهوم القوة في مواجهة الأخطار والتغلب على الصعاب في السفر أو الصيد أو الحرب.

وإذا كانت دلالة (الخيل الأدهم الملجم) في البيت السابق قد عُرفت بالتأمل وطول النظر، فإنها من الوضوح ـ في الأبيات الآتية ـ بما لا تحتاج معه إلى تأمل وطول نظر، إذ هي شديدة الوضوح في ألفاظ: السابح والشّيْظَم والأجرد، وهي أيضا أكثر ظهورا وأشد وضوحا في لفظ (الخيل)، ويمكن القول إن اسم الخيل في شعر عنترة هو أكثر دلالة على الحرب والقوة والغلبة منه في شعر غيره، بل لن نكون مبالغين إذا قلنا إن مفاهيم الحرب والقوة والغلبة في شعر عنترة تشير إلى الخيل أكثر من إشارة الخيل إلى تلك المفاهيم، فقد جعل عنترة من اسم الخيل معادلا أو مرادفا للحرب والقوة والغلبة ومخبراً عنها، فحين رأى عبلة تُعرض عنه وكأنها تجهل مكانته وفروسيته وبأسه في الحرب والقتال طلب منها أن تسأل عنه الخيل فستخبرها من هو عنترة، ولْننظر إليه يقول:

هَـلاَّ سَـأَلْتِ الخَيْـلَ يَـا ابْنَـةَ مَالِـكٍ ❖ إِنْ كُنْـتِ جَـاهِلَـةً بِمَـا لَـمْ تَعْلَمِـي
إِذْ لا أَزَالُ عَلَـى رِحَالَـةِ سَـابِحٍ ❖ نَهْـدٍ تَعَـاوَرَهُ الكُمَـاةُ مُكَلَّـمِ
طَـوْرَاً يُجَـرِّدُ لِلطِّعَـانِ وَتَـارَةً ❖ يَـأْوِي إِلى حَصِـدِ القِسِـيِّ عَرَمْـرِمِ
لَمّـا رَأَيْـتُ القَـوْمَ أَقْبَـلَ جَمْعُهُـمْ ❖ يَتَـذَامَرُونَ كَـرَرْتُ غَيْـرَ مُذَمَّـمِ
مَـا زِلْـتُ أَرْمِـيهِمْ بِثُغْـرَةِ نَحْـرِهِ ❖ وَلَبَـانِـهِ حَتَّـى تَسَرْبَـلَ بِالـدَّمِ
فَـازْوَرّ مِـنْ وَقْـعِ القَنَـا بِلَبَـانِـهِ ❖ وَشَكَـا إِلَـيّ بِعَبْـرَةٍ وَتَحَمْحُـمِ
لَـوْ كَـانَ يَـدْرِي مَـا المُحَـاوَرَةُ اشْتَكَـى ❖ وَلَكَـانَ لَـوْ عَلِـمَ الكَـلامَ مُكَلِّمِـي
وَلَقَـدْ شَفَـى نَفْسِـي وَأَبْـرَأَ سُقْمَـهَا ❖ قِيْـلُ الفَـوارِسِ وَيْـكَ عَنْتَـرَ أَقْـدِمِ
وَالخَيْـلُ تَقْـتَحِمُ الخَبَـارَ عَوَابِسَـاً ❖ مِـنْ بَـيْنِ شَيْظَمَـةٍ وَأَجْـرَدَ شَـيْظَمِ [1]

(١) السابق، ص٢٦٢.

يا لها من ملحمة! ويا لها من مشاهد صورتها هذه الأبيات!! وأوضحت علاقة الخيل بالحرب والقتال ودلالتها على القوة والغلبة.

وفي معلقة **الحارث بن حلزة** ذكرت الخيل في سياق الحديث عن استعداد القوم للحرب وتأهبهم للقتال وإعداد العدَّة واستعراض مظاهر القوة والغلبة، وفي هذا يقول الحارث:

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ والأَنْبَا ❖ ءِ خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ
إنّ إِخْوَانَنَا الأَراقِمَ يَغْلُو ❖ نَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ
أَجْمَعُوا أَمرَهُم عِشاءً فَلَمّا ❖ أَصبَحُوا أَصبَحَت لَهُم ضَوْضَاءُ
مِن مُنَادٍ وَمِن مُجِيبٍ وَمِن ❖ تَصْهَالِ خَيلٍ خِلالَ ذَاكَ رُغَاءُ[1]

فتَصْهالُ الخيل هو استجابتها لداعي الحرب والقتال مع ما يصاحب ذلك الموقف من ضوضاء وضجةٍ وارتفاع الأصوات واختلاط صوت المنادي بصوت المجيب، فيكون صهيل الخيل في ذلك الموقف معبرا عن القوة القتالية التي تتحقق بها الغلبة في الحرب.

وقد ذكر الحارث الخيل في مقام آخر وهو مقام الافتخار بعراقة قومه، فقال:

إِرَمِيٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتِ الخَيلُ ❖ وتَأْبَى لِخَصمِهَا الإِجلاَءُ

فهو يفتخر بنسبه وأن قومه قديمو الشرف قِدَمَ عاد بن إرم وبمثلهم يجب أن تجول الخيل، لأنهم يذودون عن العرض والشرف وهم أهل عزة ومنعة، وذكر الخيل في هذا المقام يشير إلى عزة القوم وقوتهم ومنعتهم.

وهكذا نجد أن دلالة السياق أو المقام أو الموقف أو سياق الحال أو الدلالة السياقية للخيل وأسمائه وصفاته في قصائد المعلقات هي دلالة القوة والغلبة، أو دلالة الحرب والقتال، وهي دلالة واحدة اتفق فيها شعراء المعلقات جميعهم.

(١) ينظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص٢٧٣.

ثانياً: دلالة الحاجة والمنفعة

عاش الإنسان العربي في العصر الجاهلي في بيئة صحراوية فاتسمت حياته بالبدوية الخالصة التي كان من أبرز خصائصها الترحال وعدم الاستقرار في مكان واحد، ولهذا السبب كانت بيوتهم وأماكن سكنهم تتصف بالتواضع والبساطة، إذ كانت في أغلبها خيمةٌ تضرب حيثما وجد الماء والمرعى، فإذا ما أجدبت الأرض نقض الخيمة وارتحل.

وقد اقتضت ظروف العيش في الصحراء وحياة البادية أن يتمسك العربي بأنواع من الحيوانات التي تعتبر ذات أثر وأهمية في حياته الاجتماعية والاقتصادية، كالإبل والغنم والماعز وغيرها من الحيوانات التي كانت توفر له كثيرا من احتياجات العيش الأساسية، إذ كان أكثر طعامه يأتي من لحمها ولبنها وأكثر متاعه وأثاثه من جلدها وصوفها.

وقد احتلت الإبل مركز الصدارة من حيث الأهمية في حياة الإنسان العربي الجاهلي، فقد كانت الوسيلة الأولى التي يعتمد عليها في تنقله وأسفاره الطويلة، وفي تجارته وحمل أثاثه وأمتعته، وفضلا عن ذلك فلحومها وألبانها من أهم المصادر الغذائية عنده.

مما سبق يمكن القول إن سبب اهتمام الإنسان العربي بالإبل وتربيتها ورعايتها هو حاجته الشديدة إليها وإلى المنافع الكثيرة التي تؤديها، فقد كانت عنصرا مهما في حياته الاجتماعية وعاملاً من عوامل تغلبه على مصاعب الحياة الاقتصادية.

ولأن الشعراء كانوا المتحدثين بلسان قومهم والمعبرين عنهم، فقد تحدثوا بكثرة عن الإبل وتناولوها في شعرهم مدحا وافتخارا ووصفا وتشبيها، فتجلت في شعرهم (دلالة الحاجة والمنفعة) أو الدلالة الاجتماعية والاقتصادية للإبل، وبالأخص منهم شعراء المعلقات[1].

(١) يقصد بمفهوم الحاجة ما يحتاجه الإنسان، والإنسان بطبيعته اجتماعي، ومعظم حاجاته توجد بمقتضى علاقته الاجتماعية بغيره من الناس، فالحاجة هنا لها وجه اجتماعي، ويقصد بالمنفعة: ما يفيد الإنسان في جوانب عديدة وتحديدا في الجوانب المادية، وكل ما ينفع الإنسان ماديا يعبر عنه في المصطلح المعاصر بالاقتصاد، فالمنفعة هنا تعني

وبعد استقراء قصائد المعلقات ورصد جميع الألفاظ التي أُشير بها إلى جنس الإبل سواء بذكر أسمائها أو بذكر صفاتها، فقد ظهر للباحث اتفاق جميع شعراء المعلقات في دلالة السياق الذي كانت تذكر فيه الإبل في معلقاتهم، وهذا السياق يمكن استنتاجه من طبيعة العلاقة الوجودية والمصيرية القائمة بين الإنسان العربي وناقته، فحياة العربي مرتبطة بالناقة ارتباط وجود ومصير، فقد اجتمعا في بيئة اقتضت وجودهما معا، فهي علاقة اجتماعية اقتضتها طبيعة الوجود المشترك، وهي علاقة اقتصادية اقتضتها المنفعة التي تؤديها الإبل في حياة الإنسان، فالعلاقة إذاً هي علاقة حاجة وعلاقة منفعة، ومن هذه العلاقة نشأت الدلالة السياقية للإبل في قصائد المعلقات، فحيثما ذكرت الإبل على لسان شاعر فهي تذكر في سياق دلالة اجتماعية واقتصادية، وهي التي سميناها اختصارا دلالة الحاجة والمنفعة.

فعند امرئ القيس تظهر دلالة الاحتياج إلى الناقة ومنفعتها في أكثر من موضع من المعلقة، ومن ذلك قوله:

ويَــوْمَ عَقَــرْتُ لِلْعَــذَارَى مَطِيَّتِــي ❖ فَيَــا عَجَبــاً مِــنْ كُوْرِهَــا المُتَحَمَّــلِ
فَظَــلَّ العَــذَارَى يَــرْتَمِيْنَ بِلَحْمِهَــا ❖ وشَـحْمٍ كَهُـدَّابِ الـدِّمَقْسِ المُفَتَّـلِ[1]

ففي هذين البيتين تظهر دلالة الحاجة والمنفعة للناقة في أمرين، الأول: في ظهرها، وعبر عنه بلفظ المطية، والثاني: في لحمها، وعبر عنه بلفظ عَقَرتُ، وهنا تكون الناقة قد أدت وظيفة اجتماعية واقتصادية في وقت واحد، فأما وظيفتها الاجتماعية فتتمثل في أن الشاعر عبر بعقرها عن صفة الكرم التي يتحلى بها وعن المحبة التي يكنها لمحبوبته حتى أنه لم يبخل عليها وعلى صديقاتها بتقديم أثمن ما لديه وهي المطية التي يحتاجها في سفره.

المنفعة المادية الاقتصادية، وعلى هذا يمكننا التعبير عن دلالة الحاجة والمنفعة بتعبير آخر هو الدلالة الاجتماعية والاقتصادية، وسيجد القارئ مظاهر تناوب التعبيرين في مواضع مختلفة من هذا المبحث.

(١) ينظر: البيت في ديوانه، ص ٣٧٣.

وأما وظيفتها الاقتصادية فتتمثل في أن الشاعر عقرها وقدمها طعاماً للعذارى اللاتي كن برفقة الحبيبة، فسدَّت الناقة عن الطعام اللازم للحياة إلى جانب كونها مطية الركوب ووسيلة التنقل، وهنا تكون الدلالة السياقية للناقة (الحاجة والمنفعة) ذات بعد اجتماعي واقتصادي ظاهرين.

ومثل هذا قوله على لسان محبوبته عنيزة عندما حملته معها على بعيرها:

تَقُـولُ وقَـدْ مَـالَ الغَبِـيْطُ بِنَـا مَعـاً ❖ عَقَـرْتَ بَعِيْـرِي يَـا امْـرأَ القَـيْسِ فَـانْزِلِ
فَقُلْـتُ لَهَـا سِـيْرِي وأَرْخِـي زِمَامَـهُ ❖ ولاَ تُبْعِـدِيْنِي مِـنْ جَنَـاكِ المُعَلَّـلِ

فالدلالة السياقية في لفظ البعير هي (دلالة الحاجة والمنفعة) التي تظهر فيها حاجة الشاعر للقاء المحبوبة والقرب منها، فلا مكان أجمل من ظهر بعيرها وهي راكبة عليه فيكون رديفها ليتمكن من ضمها وتقبيلها، فيا له من نفع يقدمه البعير للشاعر، ولما كان قد عقر بعيره وصار بدون راحلة فهو محتاج لركوب بعير المحبوبة ليحملهما معاً ويتغلبا على ضنك السفر وطول المسافة.

وفي موضع آخر يشبه الشاعر نفسه بالجمل في القوة والصبر وشدة الاحتمال، فيقول:

وقِرْبَةِ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا ❖ عَلَى كَاهِلٍ مِنِّي ذَلُوْلٍ مُرَحَّلِ

فهو يمتدح نفسه بتفانيه في خدمة رفقائه في السفر بحمل الماء والمتاع على كاهله، وعبَّر عن ذلك بالذلول المرحل، وهو من صفات الجمل، واستعمال لفظ الذلول المرحل فيه دلالة على تعوده القيام بهذا العمل، لأن الجمل في ذهن الشاعر مذلل للركوب وحمل المتاع في الأسفار، وهو ما يؤكد أن دلالة السياق التي ذكرت لأجلها الناقة هي دلالة الحاجة والمنفعة.

أما **طرفة بن العبد** فقد فاق الشعراء في الحديث عن الناقة وذكر أوصافها [1]، ففي معلقته التي تزيد على مئة بيت خصص أكبر مقاطعها للحديث عن الناقة وأسمائها وصفاتها فيما يزيد على خمسة وثلاثين بيتًا، فكان أكثر الشعراء إيماءً إلى القيمة الاجتماعية والاقتصادية للناقة، وتصريحا بدلالة

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، ٢٩٦/٢.

الحاجة والمنفعة التي تمثلها الناقة في حياة العربي البدوي ومكانتها في نفسه ومدى احتياجه لها في حياته، فهي وسيلته في التنقل والأسفار، وهي صديقه وأنيسه ورفيقه في همه وفي حزنه وفرحه.

ويمكن القول إن طرفة قد جعل من الناقة رمزاً للنجاة ومعادلاً موضوعيًّا للحياة، فكما أنها رمز للنجاة في مسالك الصَّحراء الموحشة المقفِرة حين يسير فيها فهي معادل موضوعي للحياة المثالية التي كان ينشدها وعاش محرومًا منها، فقد نشأ يتيما وحُرم من ميراث أبيه من النوق بعد وفاته، فأحس بشدة الحاجة إلى الناقة ليستعين بها في تحمل أعباء الحياة[1].

بدأ طرفة ذكر الناقة بلفظ المَطِيّ في البيت الثاني من المعلقة ثم بلفظ الحدوج في البيت الثالث، فقد وقف على أطلال الحبيبة خولة يبكي فراقها وحوله الأصحاب واقفين على رواحلهم يأمرونه بالتصبر وينهونه عن الجزع، فقال:

لِخَوْلَـــةَ أَطْـــلالٌ ببُرقَـــةِ ثَهْمَـــدِ ❖ تَلـوحُ كبـاقي الوَشْـمِ في ظـاهر اليَـدِ

وُقوفًـا بهـا صـحبي علـى مَطِـيِّهُمْ ❖ يَقولـــونَ لا تَهْلِـــكْ أســـىً وتَجَلَّـــدِ

كَـــأنَّ حُـــدُوجَ المَالِكِيَّـــةِ غُـــدْوَةً ❖ خَلاَيَـا سَـفِيْنٍ بِالنَّوَاصِـفِ مِـنْ دَدِ[2]

والمَطِيّ جمع مَطِيّة، وهي الناقَةُ أَو البَعيرُ الذي يُمْتَطَى، فالمطية مشتقة من المَطا أي الظهر، أو من المَطْو وهو المد في السير، فالناقة (المطية) حاضرة أمام الشاعر فهو يراها بعينه والأصحاب واقفون عليها، وهي حاضرة في ذهنه حين تَذَكُّرِه مشهد رحيل الحبية وهي على الحدوج، وهي الإبل التي تحمل الهوادج عليها وكأنها السفن العظام، وكلا المعنيين يشيران إلى أهمية الناقة وحاجة الناس إلى ركوبها فهي ذات نفع في حياتهم.

(١) ينظر: صورة الناقة في القصيدة الجاهلية بين الوظيفية الشعرية وإنتاج الدلالة الرامزة، للدكتور سعيد حسون العنبكي، مجلة كلية اللغات. ص ٤٠٧.

(٢) ينظر: ديوان طَرَفَة بن العَبْد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٢م.، ص١٩.

ثم يصور طرفة عمق علاقته بالناقة ومكانتها عنده ومدى احتياجه لوجودها في حياته، فهي كل ما تبقى له بعد رحيل الحبيبة، وهي وسيلته في التنقل والأسفار، وصديقته ورفيقته في همه وحزنه وفرحه، فيقول:

وإنّي لَأُمْضِي الهَمّ عِنْدَ احْتِضارِهِ ❖ بِعَوْجاءَ مِرْقالٍ تَرُوحُ وتَغْتَدِي

أي: إذا نزل بي الهم نفيته عني، وأمضيته بأن أرتحل على هذه الناقة العوجاء، وهي الضامرة النشيطة التي قد لحق بطنها ظهرها، ولذلك فهي مرقال، أي: سريعة في سيرها [1]، وهنا تظهر الدلالة السياقية للناقة في أوضح صورها، وهي دلالة الحاجة والمنفعة.

وتعداد صفاتها الجسَدية والمعنوية، فقد وصف جميع أجزاء جسدها: انتصاب قامتها وارتفاع رأسها وصلابة جمجمتها واستواء عظامها وملاسة خدها وتدلي فمها وانفتاح أذنيها واتساع عينيها واكتحالها وطول ساقيها وتحرك ذيلها وضمور بطنها ونظافة جسدها وقوة قلبها وفتوتها وتيهها وتمايلها واتساع خطوها وسرعة عدوها وصبرها وتحملها...إلخ وكان يذكر الصفة الجسدية في الناقة ويتبعها بذكر صفة معنوية، وكأن كلَّ صفة من صفاتها الجسدية تدل على صفة معنوية فيها، فيالها من صورة ولما كانت هذه هي مكانة الناقة عند طرفة وقيمتها وأثرها في حياته، فقد أسهب في الحديث عنها رسمها طرفة للناقة في أبياته التي يقول فيها:

جَماليّـةٍ وجْنَـاءَ تَـردي كأنّهـا ❖ سَـفَنَّجَةٌ تَـبري لِـأزعَرَ أربَـدِ
تُبـاري عِتاقـاً ناجيـاتٍ، وأتبَعَـتْ ❖ وَظيفـاً وَظيفـاً فَـوق مَـورٍ مُعبَّـدِ
تَربَّعَـتِ القُفّـينِ في الشَّـولِ تَرتَعـي ❖ حَـدائِقَ مَـوليٍّ الأسِـرَّة أغْيَـدِ
تَريـعُ إلى صَـوْتِ المُهيـبِ وتَتّقـي ❖ بِـذي خُصَـلٍ رَوعـاتِ أكلَـفَ مُلبِـدِ
كـأنّ جَنَـاحَيْ مَضْـرَحِيٍّ تَكَنَّفَـا ❖ حِفافَيْـهِ شُـكّاً في العَسِـيبِ بمَسـرَدِ
فَطَـوراً بـه خَلْـفَ الزّميـلِ، وتـارةً ❖ علـى حَشَـفٍ كالشَّـنِّ ذاوٍ مُجَـدّدِ

(١) ينظر: شرح المعلقات التسع المنسوب لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ)، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ص٤٣، وينظر: شرح الزوزني، ص٩٣.

لها فَخْذانِ أُكْمِلَ النّحْضُ فيهما ❖ كأنّهُما بابا مُنِيفٍ مُمَرَّدِ

وطَيٌّ مَحالٍ كالحَنِيّ خُلوفُهُ ❖ وأجرِنَةٌ لُزّتْ بِدَأْيٍ مُنَضَّدِ

لها مرِفَقانِ أفتَلانِ كأنّها ❖ تَمُرّ بِسَلْمَيْ دالجٍ مُتَشَدّدِ

كقنطرة الرُّوميِّ أقسمَ ربها ❖ لتكفننْ حتى تُشادَ بقرمدِ

صُهابيّةُ العُثْنُونِ مُوجَدَةُ القَرَا ❖ بعيدةُ وخد الرِّجل موَّراةُ اليدِ

أُمرَّتْ يداها فتلَ شزرٍ وأُجنحتْ ❖ لها عَضُداها في سَقِيفٍ مُسَنَّدِ

وجمجمةٌ مثلُ العَلاة كأنَّما ❖ وعى الملتقى منها إلى حرف مبرَدِ

وخدٌّ كقرطاس الشآمي ومشْفَرٌ ❖ كسَبْتِ اليماني قدُّه لم يجرَّدِ

وعينان كالماويتين استكنَّتا ❖ بكهْفَيْ حِجاجَيْ صخرةٍ قَلْتِ موردِ

وإنْ شئتُ لم تُرْقِلْ وإن شئتُ أرقلَتْ ❖ مخافةَ مَلْويٍّ من القدِّ مُحصدِ

وإن شِئتُ سام واسِطَ الكورِ رأسُها ❖ وعامت بضبعيها نجاءَ الخفيْدَدِ

بهذه الأوصاف الشاملة رسم طرفة صورة مثالية للناقة، وهي صورة ترمز للحياة والحلم الذي كان ينشده ولم يتحقق له، فوجد في الناقة تعويضا عن النقص الذي كان يحسُّه والحرمان الذي عانى منه، فقد وجد فيها الوفاء والعون على مشقات الحياة، ولولاها لما استطاع النجاة حين يسير في الصحراء المقفرة المهلكة التي لم يجد صاحبه ما يقدمه له حين يسير فيها سوى التمني له بالسلامة وأن يفتديه مما قد يصيبه فيها من الخطر والهلاك، ولكنها أمنيات وأقوال لن يترجمها إلى أفعال كما تفعل هذه الناقة المثالية التي يجب أن يتمسك بها لأنه يحتاجها وهي ذات منفعة له لا يمكن الاستغناء عنها:

على مثلِها أَمْضي إذا قال صاحبي ❖ ألا لَيتَني أفديكَ منها وأفْتَدي

لقد أدى طرفة واجبه الاجتماعي نحو قبيلته وقومه بمساعدة ناقته العظيمة، وظل كذلك إلى أن حدث جفاء بينه وبين قومه، فتخلوا عنه وأبعدوه، وصار عندهم كالغريب بل كالجمل الأجرب الذي لا يخالط غيره حتى لا يصيبها بالعدوى.

إلى أنْ تَحامَتْني العَشيرةُ كلُّها ❖ وأُفردِتُ إفْرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ

والبعير المعبد هو المدهون بالقطران، وفيه دلالة اجتماعية واضحة ظهرت في إفصاح الشاعر من خلال البعير عن عادة العرب في تعاملهم مع الجمال المصابة بالجرب وهو طلائها بالقطران، ويمكن وصف دلالة البعير هنا بأنها معاكسة لدلالة الحاجة والمنفعة التي تحملها الإبل في ذهن الشاعر الجاهلي.

ويختم طرفة حديثه عن الناقة بأبيات يؤكد فيها دلالة الحاجة والمنفعة التي تمثلها الإبل عند الإنسان العربي الموصوف بالجود والكرم:

وَبَرْكٍ هُجُود قَدْ أثارَتْ مَخافَتي ❖ بَوادِيهَا، أمشي بعَضْبٍ مُجَرّدِ
فَمَرّت كَهاةٌ ذاتُ حَيْف جُلالَةٌ ❖ عَقيلَةُ شَيخٍ كالوَبيلِ يلَنْدَدِ
يَقولُ وَقَدْ تَرّ الوَظيفُ وسَاقُها ❖ أَلَستَ تَرى أن قد أَتَيتَ بمُؤيدِ
فَظَلّ الإماءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَهَا ❖ ويُسْعَى علَينا بالسَّديفِ

فبعد أن عاش الحرمان وعانى من الإبعاد تحسنت أحواله وكثر ماله، ولكنه لم يبخل على من حرمه ولم يتعامل معهم بالمثل، فها هو يفتخر بنفسه وبكرمه وأنه يقري ضيوفه وندماءه ويكرمهم بذبح أنفس ما لديه من الإبل، حتى صارت الإبل تخشاه إذا رأته وهي باركة، فتراها تفزع وتضطرب لتعودها منه أنه نحّار لها، فكلما رأته فزعت وخافت، وفضلا عن ذلك فإن من حوله تصيبهم دهشة من جرأته في ذبح الإبل النفيسة التي تعد من أغلى ما يمتلكه الإنسان العربي، ولكنه لا يبالي بشيء من ذلك أمام حاجته للتعبير عن كرمه، وهنا تظهر دلالة الحاجة والمنفعة التي تمثلها الإبل وهي تقديم لحمها طعاما للضيف والنديم والمحتاج، والتعبير بها عن صفة الجود والكرم.

وفي معلقة زهير تظهر دلالة الحاجة والمنفعة للإبل في كونها وسيلة الركوب في الأسفار وأداة الحمل في الترحال، ففي قوله:

تَبَصّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ ❖ تَحَمّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وكِلَّةٍ ❖ وِرَادٍ حَوَاشِيْهَا مُشَاكِهَةُ الدّمِ
وَوَرّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَهُ ❖ عَلَيْهِنّ دَلُّ النّاعِمِ المُتَنَعّمِ[1]

(١) ينظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص١٣٧.

يتخيل الشاعر محبوبته التي رحلت قبل عشرين عاماً وكأنه يراها في هودج مرتحلة مع ظعائن قومها، والظعائن: جمع ظعينة، مأخوذة من الظَعَن، وهو الارتحال، فالظعينة: المرأة في الهودج، والعتاق: النوق الأصيلة، وورّكْن: من التوريك وهو ركوب أوراك الإبل، ومن الألفاظ السابقة تتضح دلالة الحاجة والمنفعة للإبل في مشهد الحراك الاجتماعي للقبيلة المرتحلة عن الديار فهي الأداة والوسيلة، ومشهد الرحيل الذي تخيله الشاعر إنما هو مشهد النوق العتاق يحملن الهوادج وفيها النساء مرتحلات عن الديار.

وتتجلى دلالة الحاجة والمنفعة للإبل في أعظم صورها في معلقة زهير، إذ نجد فيها أبياتا تؤكد القيمة الاجتماعية والاقتصادية للإبل في العصر الجاهلي والمكانة المثالية التي تحتلها في عرف المجتمع العربي وعاداته وتقاليده، نجد ذلك في سياق قول زهير ممتدحاً هرم بن سنان والحارث بن عوف لإتمامهما الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى من خالص ما يملكان من الإبل[1]:

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيْتُمَا ❖ وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ
تُعَفِّي الكُلُومُ بِالمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ ❖ يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيْهَا بِمُجْرِمِ
يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً ❖ وَلَمْ يَهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْءَ مِحْجَمِ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيْهِمُ مِنْ تِلاَدِكُمْ ❖ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمِ

وهنا تظهر دلالة الإبل على الحاجة والمنفعة، في كونها تقدم ديات للقتلى في صراع الثارات وفدية للأسرى في الحروب، فهي كما صورها زهير كالدواء الذي يشفي الجروح ويجبر الكسور، وهي الوسيلة لحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وهي العطاء الثمين الذي يرضي النفوس ويجبر الخواطر ويطفئ نيران الثأر ودوافع الانتقام، وبفضلها تسود مظاهر الإخاء وتشيع قيم المودة بين الناس.

وفي **معلقة لبيد** نجد هذه الدلالة تسير في الاتجاه نفسه عند سابقيه، فقد ذكر الناقة بأسماء وصفات تشير إلى الدلالة نفسها، ومن ذلك قوله:

شاقتكَ ظُعْنُ الحيِّ حينَ تحمّلُوا ❖ فتكنّسُوا قُطُناً تَصِرُّ خِيَامُها[2]

(١) ينظر: المصدر السابق، ص١٤٠.

(٢) ينظر: ديوانه، ص١٠٨.

وقد عرفنا أن الظُعْن أو الظُّعُن هو جمع الظّعُون، وهو البعير الذي عليه هودج وفيه امرأة، ودلالة الحاجة والمنفعة هنا واضحة في اتخاذ البعير وسيلة للركوب وحمل المتاع في السفر.

ويشير لبيد إلى حاجة المرء إلى البعير أو الناقة عند اضطراره إلى مفارقة من لا خير في صحبته، فهو محتاج إلى شيء نافع يعينه على ذلك وهي الناقة:

وَاحْـبُ المُجَامِـلَ بالجزيـلِ وصَـرْمُهُ"	❖	بـاقٍ إذا ضَلَعَـتْ وزاغَ قِوَامُهَـا
بِطَليـحِ أسْفَـارٍ تَرَكْـنَ بقيَّـةً	❖	منهـا فأحْنَـقَ صُلْبُهـا وسَنَامُهـا
وإذا تغـالـى لَحْمُهَـا وَتَحَسَّـرتْ	❖	وتَقَطَّعَـتْ بعـد الكَـلالِ خِدَامُهَـا
فلهـا هِبَـابٌ في الزِّمـامِ كأنَّهـا	❖	صـهباءُ خَـفَّ مـع الجنـوبِ جَهَامُهـا

أي: عامِلْ من جاملك وصانَعك وداراك بود كامل، فإنْ تغير تعامله معك فأنت قادر على صرمه وقطيعته بركوب ناقة قد اعتادت الأسفار ومرنت عليها، وبسبب كثرة أسفارها ضَمُرَتْ فخَفّ وزنها فهي لذلك تكون نشيطة وسريعة في سيرها كأنها سحابة حمراء لا ماء فيها فالريح تدفعها بسرعة شديدة.

ويشير لبيد إلى نوع آخر من الاحتياج إلى الناقة ومنفعتها، وهو عقرها وتقديم لحمها طعاما للضيوف والجيران، فهي جزور ينحرها لندمائه من صلب ماله لا من كسب قماره، فيختار أفضلها للذبح وهي الناقة العاقر لأنها تكون سمينة، أو المطفل التي معها وليدها لأنها تعد نفيسة فيبذل لحمهما ليطعم به ضيوفه وجميع جيرانه:

وَجـزَورِ أيْسَـارٍ دَعَـوْتُ لحتفِهـا	❖	بِمَغَالِـقٍ مُتَشَـابِـهٍ أجسامُـهـا
أدعُـو بهـنّ لعاقِـرٍ أوْ مـطفِـلٍ	❖	بذلَـتْ لجيرانِ الجمـيعِ لحامُهـا
فالضـيفُ والجـارُ الجنـيبُ كأنّـما	❖	هبَـطَا تبـالَةَ مخـصِباً أهْـضَامُها

وفي عقر الناقة دليل على منفعتها واحتياج الناس للحمها، ويظهر من أبيات لبيد أن العرب يعقرون النوق لتكريم الميت ولأسباب أخرى عديدة منشؤها التصور الاجتماعي للحياة العربية في العصر الجاهلي، فالناقة ينحرها صاحبها إما إكراماً لضيف أو سخاءً على نديم أو افتخاراً أمام منافس أو عطفاً على جارٍ أوفقير أو تعبيراً عن وفاءٍ لحبيبٍ أو صديق، وهكذا تتعدد الأسباب الاجتماعية لعقر

الناقة كما يظهر في شعر لبيد، وليس الأمر كما قيل إن العقر "كان تكريماً للميت وإشهاراً لفضله بين الناس وتباهياً بما نحر بنوه على قبره من ذبائح لإطعام الفقراء"[(١)].

وفي معلقة **عمرو بن كلثوم** نجد للناقة أربع صفات متتالية في بيتٍ واحد، وفي هذا البيت عدل الشاعر عن الخطاب المباشر مع حبيبته إلى وصفها وتشبيهها بالناقة التي ذكر لها صفات أربع، فقال:

تُرِيْـــكَ إِذَا دَخَلَـــتْ عَلَـــى خَـــلاَءٍ ❖ وَقَـــدْ أَمِنْـــتَ عُيُـــوْنَ الكَاشِحِيْنَـــا
ذِرَاعِـــي عَيْطَـــلٍ أَدَمَـــاءَ بِكْـــرٍ ❖ هِجَـــانِ اللَّـــوْنِ لَـــمْ تَقْـــرَأْ جَنِيْنَـــا[(٢)]

فالعيطل من النوق: الطويلة العنق، والأدماء: البيضاء، والبكر: التي حملت بطناً واحداً، والبَكر (بفتح الباء): الفتي من الإبل، والهجان: النوق البيضاء، والشاعر ما شبه المرأة بالناقة التي تحمل هذه الصفات إلا لمعرفته الكبيرة بالإبل وصفاتها وخصائصها، وهذه المعرفة لم تأت من فراغ بل جاءت من خلال امتلاك الإبل ومعاشرتها والاختلاط بها، وامتلاك الإبل ومعاشرتها والاختلاط بها إنما هو لقيمتها الاجتماعية والاقتصادية، وهي قيمة مثالية تتمثل في الحاجة إلى الناقة ومنفعتها.

وفي معلقة عنترة بن شداد، نجد للناقة عددا من الأسماء والصفات التي تشير إلى مكانة الناقة عند عنترة واحتياجه لوجودها ومنفعتها في حياته، فالناقة هي الصديقة والرفيقة التي تؤنسه في دار الحبيبة الظاعنة:

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا ❖ فَدَنٌ لأَقْضِيَ حَاجَةَ المُتَلَوِّمِ[(٣)]

أي: حبست ناقتي - التي تشبه القصر في عظمها وضخامتها - في دار حبيبتي، لأقضي حاجتي بالمكوث بعض الوقت أتحسر على فراقها وأبكي على أيام وصالها.

ثم يتوجه بالخطاب إلى حبيبته وقد أذهله مشهد الفراق واستعدادها للرحيل، وفي هذا الخطاب يشير إلى بعض صفات الناقة:

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص ٢٩١.
(٢) ينظر: شرح المعلقات السبع للزوزني، ص٢١٨.
(٣) ينظر: المصدر السابق، ص٢٤٦.

إنْ كُنْـتِ أزْمَعْـتِ الفِـرَاقَ فَإنّمَـا ❖ زُمّـتْ رِكَـابُكُم بِلَيْـلٍ مُظْلِـمِ
مَـا رَاعَـني إلاَّ حَمُولَـةُ أَهْلِهَـا ❖ وَسْـطَ الـدِّيَارِ تَسَـفُّ حَـبّ الخِمْخِـمِ
فِيهَـا اثْنَتَـانِ وَأَرْبَعُـونَ حَلُوبَـةً ❖ سُـوداً كَخَافِيَـةِ الغُـرَابِ الأَسْحَـمِ

فالركاب: هي الإبل التي تحمل الأمتعة في السفر، والحمولة: الإبل التي تطيق أن يحمل عليها، والحلوب: التي يُحلب لبنها، وفي هذه الألفاظ دلالة على حاجة الناس للإبل ومنفعتها في حياتهم.

وبعد أن رحلت الحبيبة يقرر عنترة اللحاق بها، فيخبر عما جال في خاطره عن صفات الناقة التي ستوصله إلى ديار الحبيبة:

هَـلْ تُبْلِغَنّـي دارَهَا شَدَنِيّـة ❖ لُعِنَـتْ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّمِ

أي: ستوصلني إلى دار الحبيبة ناقتي القوية التي بعُد عهدها باللقاح فهي أقوى وأسمن وأصبر على معاناة شدائد الأسفار، ومن صفات هذه الناقة أنها:

خَطّـارَةٌ غِـبَّ السُّـرَى زَيّـافَـةٌ ❖ تَطِـسُ الإكَـامَ بِوَخْـذِ خُـفٍّ مِيثَـمِ
وَكَأنَّمَـا تَطِـسُ الإكَـامَ عَشِيَّـةً ❖ بِقَرِيـبِ بَيْـنَ الْمَنْسِـمَيْنِ مُصَلَّـمِ
شَـرِبتْ بِمَـاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأصْبَحَتْ ❖ زَوْرَاءَ تَنفِـرُ عَـنْ حِيَـاضِ الدَّيلَـمِ
بَرَكَـتْ عَلَـى جَنْـبِ الـرّدَاعِ كَأَنَّمَـا ❖ بَرَكَـتْ عَلَـى قَصَـبٍ أجـشّ مُهَضَّـمِ
وكَـأنَّ رُبًّـا أَوْ كُحَيْـلًا مُعْقَـدًا ❖ حَـشَّ الوَقُـودُ بِـهِ جَوانِـبَ قُمقُـمِ
يَنْبَـاعُ مِـن ذِفْـرَى غَضُـوبٍ جَسْـرَةٍ ❖ زَيّـافَةٍ مِثْـلَ الفَنِيـقِ الْمُكْـدَمِ

فهذه الناقة ترفع ذنبها في سيرها مرحًا ونشاطًا بعدما سارت الليل كله وهي تكسر الإكام بخفها وتسير مسرعة كأنها النعامة في سرعتها، وقد شربت هذه الناقة من مياه الدحرضين حتى ارتوت فواصلت السير دون التفات حتى نبع العرَق من خلف أذنها وسال على عنقها كأنه القطران، وهي على الرغم من تعبها لا تزال قوية صلبة تتبختر في سيرها كأنها الجمل الفحل.

إن ناقة هذه صفاتها هي ما يحتاجه الشاعر للحاق بالحبيبة وبلوغ ديارها، فيا لها من ناقة ذات قيمة ومنفعة.

وأخيراً نجد **الحارث بن الحلزة** يصرح بدلالة الحاجة والمنفعة للإبل، فيقول:

غَـيرَ أَنِّـي قَـد أَسـتَعِينُ عَلَـى الهَـمِّ ❖ إِذَا خَـفَّ بـالـثَّـوِيِّ النَجَـاءُ
بِـزَفُـوفٍ كَـأَنَّـهَـا هِـقَـلَـةٌ ❖ أُمُّ رِئَـالٍ دَوِيَّـةٌ سَـقْـفَـاءُ(1)

والدلالة هنا تظهر في قوله: أستعين، والمستعين بالشيء إنما يستعين به لحاجته إليه، وهذه المعونة لا بد أن تكون نافعة ومفيدة، فالشاعر يستعين بالناقة لحاجته إلى ركوبها كي تحمله وتخفف عنه عناء السير وتعبه، وهو أيضا محتاج لسرعتها لأجل الوصول إلى ما يحقق غرضه فتحصل له المنفعة.

ويؤكد الحارث هذا المعنى في قوله:

هَـل عَلِمتُـم أَيّـامَ يُنتَهَـبُ النّـاسُ ❖ غِـوَاراً لِـكُـلِّ حَـيٍّ عُـواءُ
إِذ رَفَعـنَا الجِمَـالَ مِـن سَـعَفِ الـ ❖ بَحـرَينِ سَـيراً حَتّـى نَهَاهَـا الحِسَـاءُ

ففي البيت إشارة صريحة إلى دور الجمال في الأغارة على منازل الأعداء على طول المسافة من البحرين إلى الإحساء، والإغارة إنما تكون بالخيل والجمال ولكن الجمال دورها في الأغارة أكبر، فالموقف موقف إغارة بقصد سلب ممتلكات الأعداء وليس بقصد قتالهم، ولهذا أحضروا الجمال لتحمل ما قصدوا الذهاب إليه والإغارة من أجله، والدلالة هنا لا تخرج عن مسارها الاجتماعي الذي يشخص صورة العلاقة بين القبائل، ولا عن مسارها الاقتصادي النفعي فيما تحمله الجمال من السبي والسلب.

وهكذا تكون دلالة الحاجة والمنفعة أو الدلالة الاجتماعية والاقتصادية للإبل في معلقات الشعر الجاهلي واحدة في سياقها ومضمونها واتجاهها.

ثالثاً: دلالة العداء والتوحش

كان للظروف التي عاشها الإنسان العربي في العصر الجاهلي وخاصةً ظروف البيئة الصحراوية وطبيعة الحياة التي عاشها متنقلاً عبر الصحارى وبطون الأودية بحثاً عن الماء والمرعى أو طلباً للصيد، واضطراره للسير في الدروب المخيفة والسبل غير الآمنة والفلوات المليئة بالحيوانات المتوحشة والسباع المفترسة ـ كان لذلك أثر كبير في انطباع جانب من وعي الإنسان الجاهلي بمفهوم الصراع في الحياة

(1) ينظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص271.

والتنازع على أسبابها ومقوماتها، وصار ذلك من السمات البارزة التي اشتُهرت بها الحياة في ذلك العصر، وهذا المفهوم أثّر أيضا في نظرة الشاعر الجاهلي للحياة وتفسيره لظواهرها وأحداثها ولطبيعة العلاقة بين الكائنات الحية في البيئة الجاهلية، فهذه الكائنات كما يراها الشاعر الجاهلي غالباً ما تكون متنازعة متصارعة فيما بينها بسبب ظروف البيئة القاسية وبسبب غريزة الأنا وإيثار الذات والحرص على البقاء، فكانت العلاقة بين كثير من الكائنات علاقة صراع وعداء وتوحش، تجسدت هذه العلاقة في ثلاثة مظاهر، أولها: العِداء القائم بين الإنسان والحيوانات المتوحشة المفترسة، وثانيها: العداء بين الحيوانات المفترسة وغيرها من الحيوانات غير المفترسة، وثالثها: العداء بين الحيوانات المفترسة نفسها.

وبالنظر إلى دلالة العداء والتوحش في قصائد المعلقات سنجد أن هذه الدلالة تظهر عند أكثر الشعراء في سياقين، أولهما: سياق عرض الشاعر مشهدا من مشاهد صراع الوحوش مع الإنسان، والدلالة العدائية في هذا الصراع واضحة، فالسباع عدوة للإنسان وهي بطبيعتها متوحشة لا تألف ولا تؤلف، وثانيهما: سياق عرض مشهد من مشاهد صراع الوحوش بعضها مع بعض ومقارنة ذلك بما يحدث من صراع بين البشر.

فهذا **امرؤ القيس** يتحدث في معلقته عن الحيوانات المتوحشة، كالسرحان (الذئب) والوعل والثور والسبع والأوابد والتتفل والعصم ...الخ، فقد ذكر الذئب في سياق حديثه عن موقف مخيف وغير آمن مر به في رحلته للصيد، فقال:

وَوَادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ ❖ بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِي كَالخَلِيْعِ المُعَيَّلِ[1]

في هذا البيت يصور الشاعر علاقته العدائية مع ذئب يعيش في واد مقفر مظلم فهو حيوان متوحش غير مستأنس، وعواؤه تعبير عن طبيعته العدائية المتوحشة نحو الفرائس بأنواعها المختلفة، فكل كائن ذي لحم ودم هو فريسة يطلبها الذئب لا فرق بين إنسان وحيوان، وهكذا يتصور الشاعر ذلك الذئب وهو يعوي بذلك الوادي وكأنه يستدعيه ليفترسه، فالذئب عدو لكل فريسة.

(١) ينظر: ديوانه، ص٥١.

ومن صفات الذئب الباحث عن الفرائس السرعة وخفة الحركة، وقد أشار إليها الشاعر في سياق وصفه للفرس وتشبيه سرعته بسرعة السرحان (الذئب)، فقال:

لَهُ أَيْطَـلا ظَبْـيٍ وَسَاقَا نَعَـامَةٍ ❖ وإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلِ

وفي سرعة الذئب دلالة عدائية وحشية، فهو يسرع ليطارد فريسة أو ليخيف عدوا أو ليهرب من عدوٍّ مفترس أكبر، ومثل هذا حديث الشاعر عن بقية أسماء السباع الأخرى، لم يكن يذكرها إلا في سياق حديثه عن صراع الإنسان معها وتأكيد عداوتها له، أو عداوتها بعضها مع بعض.

وفي معلقة **طرفة** ذُكر الذئب باسم سيد الغضا، في قوله:

وكَرّي، إذا نادى المُضافُ، مُحَنَّباً ❖ كسيد الغضا نبّهته المتورِّد [1]

في هذا البيت يفتخر الشاعر بنفسه وبإحدى صفاته وهي سرعة نجدته الخائف وإغاثته المستغيث وإعانته اللاجئ إليه، فهو يسرع ناحية المستغيث ممتطياً فرسا شديد السرعة يشبه في سرعته سيد الغضا(الذئب) الذي اجتمعت له ثلاث خلال: "إحداها كونه فيما بين الغضا، وذئب الغضا أخبث الذئاب، والثانية إثارة الإنسان إياه، والثالثة وروده الماء، وهما يزيدان في شدة العَدْوِ" [2]، وخلاصة المعنى: أنه يسرع في نجدته الخائف كإسراع الذئب الذي وجد نفسه فجأة أمام إنسان وهو عدوه الأول فيفر منه مذعوراً خائفاً، وبهذا التشبيه تتكون في ذهن المتلقي دلالة العداء بين الذئب والإنسان حتى لو لم يفصح الشاعر عنها فقد اتضحت من خلال التشبيه وحالة الموقف النفسي والشعوري الذي استحضره الشاعر في هذا التشبيه، فالخوف ثم الفرار إنما يكون من عدوٍ متربص.

وفي معلقة **لبيد بن ربيعة** نجد وصفا لمشهد يعد من أعظم مشاهد الصراع العدائي في عالم الحيوان، وهو مشهد البقرة الوحشية التي ضيعت وليدها وذهبت ترعى مع القطيع فاستفردت به السباع والكلاب البرية المتوحشة، وحين رأت الأمُّ السباع حول وليدها سارت نحوه بسرعة شديدة فلم

(١) ينظر: ديوانه، ص٢٥.

(٢) شرح المعلقات التسع، للزوزني ص١٠٨.

تدركه، إذ كان قد افترس ومُزق أشلاء، وفي ذلك يقول لبيد مقارنا سرعة عدو ناقته بسرعة تلك البقرة الوحشية وهي تعدو نحو وليدها:

أفَتِلْكَ أم وحْشِيّةٌ مسبوعَة ❖ خذلتْ وهادية الصِّوارِ قِوَامُها
خَنْساءُ ضَيّعَتِ الفَريرَ فلمْ يَرِمْ ❖ عرضَ الشّقائِقِ طوفُها وبغامُها
لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ ❖ غُبْسٌ كواسِبُ لا يُمَنُّ طَعَامُها
صَادَفْنَ منها غِرّةً فَأَصَبْنَهَا ❖ إنّ المنايا لا تطيشُ سهامُهَا (1)

في هذه الأبيات يرسم الشاعر صورة للصراع بين الحيوانات المتوحشة وتحديدا بين الكلاب البرية المفترسة وصغار بقر الوحش، وهذا الصراع يبدو في قمة العداء والوحشية، فبقر الوحش ترى في السباع عدواً لها فهي تخافه وتحذر منه، والسباع ترى في البقرة الوحشية صيدا وفريسة تتربص بها وترقبها ولا سيما الصغير والضعيف منها، وقد استغلت السباع انشغال البقرة بالرعي مع القطيع فوجدت فرصتها سانحة فانقضت نحو وليدها تتنازعه أشلاءً، فكان الموت هو النتيجة الحتمية لذلك الصراع، الذي نستنتج من مشهده دلالة العداء والتوحش في الذئاب المفترسة وفي جنس السباع عامة.

ويصور الشاعر حالة البقرة الوحشية بعد فقد وليدها فيقول:

باتَتْ وَأَسْبَلَ واكِفٌ من دِيمةٍ ❖ يروِي الخمائلَ دائماً تسجامُها
يعدُو طريقةَ متنِهَا متواتِر ❖ في ليلةٍ كَفَرَ النُّجومَ غَمَامُهَا
حتى إذا انحسَرَ الظلامُ وَأَسْفَرَتْ ❖ بكرتْ تزلُّ عن الثَّرَى أزْلامُها
عَلِهَتْ تَرَدَّدُ في نِهاءِ صَعَائِدٍ ❖ سَبْعاً تُؤامَاً كاملاً أيَّامُها
حتى إذا يَئِسَتْ وأسْحَقَ حَالِقٌ ❖ لم يُبلِهِ إرْضاعُها وفِطَامُها

أي: صارت البقرة بعد فقد ولدها شاردة وبعيدة عن قطيعها فباتت وحيدة في ليلة ممطرة مظلمة موحشة لا نجوم فيها، فكانت تحاول أن تستتر بأغصان الشجر من البرد والمطر فلم تقها، وظلت على حالها تلك حتى أضاء النهار، فبكرت تنفض عن قوائمها التراب وهي في حالة من الجزع، إذ ظلت

(1) ينظر: ديوانه، ص١١١.

تتردد في ذلك المكان لسبعة أيام تبحث عن ولدها، وحين رأت ضرعها قد امتلأ باللبن ولم يأت ولدها ليرضعه أصابها اليأس وأيقنت أنه لن يعود.

وتتوالى فصول مشهد الصراع في حياة هذه البقرة التي تعبر قصتها عن عمق العلاقة العدائية بين بعض الحيوانات كما يصورها لبيد في معلقته، حتى إن بعض تلك الحيوانات قد امتهن العدوانية ومَهَرها، بل تعدى الأمر بها إلى تحالفها مع بعض البشر للقيام بالعدوان وممارسته، فالبقرة بعد موت وليدها بين أنياب السباع لم تسلم هي من تربص الأعداء ومنهم الإنسان الذي لم يرحم حالتها بفقد وليدها بل اعتبرها صيدا ووجه إليها السهام كي تقتلها، وحين عجز عن إصابتها لجأ إلى الاستعانة بأعداء تلك البقرة وهي الكلاب المسترخية الأذان، فقد أطلقها نحو هذه البقرة لافتراسها، كون هذه الكلاب أكثر خبرة واحترافاً للسلوك العدواني، ولكنها أي البقرة لما شعرت بخطورة الموقف وأنها إن لم تدافع عن نفسها فمصيرها الموت، لم يكن أمامها بدٌ من استحضار سلوكها العدواني حيث التفتت نحو تلك الكلاب الجارحة ودارت المعركة وتفوقت البقرة على أعدائها من الكلاب وضرجتها بالدماء، وفي ذلك يقول لبيد:

وتوجسَّتْ رزَّ الأنيسِ فَرَاعَها ❖ عن ظهرِ غَيْبٍ والأنيسُ سَقَامُها
فَغَدَتْ كلا الفَرجَينِ تَحْسَبُ أنَّهُ ❖ مَولى المخافة خلفُها وأمامُها
حتى إذا يئسَ الرُّماةُ وأرْسَلُوا ❖ غضفاً دواجنَ قافلاً أعْصامُها
فَلَحِقْنَ واعتكرتْ لها مَدْرِيَّةٌ ❖ كالسَّمهريَّةِ حَدَّهَا وتَمَامُهَا
لِتذُودَهُنَّ وَأيقنتْ إن لم تَذُدْ ❖ أن قد أحمَّ مع الحتوفِ حمامُها
فتقصدَتْ منها كَسابِ فضُرِّجتْ ❖ بدمٍ وغودرَ في المَكَرِّ سُخَامُها

ولعل الشاعر يريد أن يقول من خلال النتيجة التي انتهى بها المشهد لصالح البقرة الوحشية: إن رد فعل المظلوم المعتدى عليه يكون أقوى وأعنف من هجوم الظالم المعتدي وتكون النهاية في الأخير لصالح المظلوم حتى لو لم يكن الظالم في نظره عدوا أو من جنس الأعداء.

وهكذا تبدو الدلالة العدائية للحيوان في معلقة لبيد أظهر منها عند غيره، وذلك بسبب تميزه في تشخيص الحالة العدائية للحيوانات المفترسة والرمز بها إلى المواقف العدائية التي تحدث بين البشر.

وفي معلقة **عمرو بن كلثوم** تتمثل في الكلاب الدلالة العدائية للحيوان، كما في قوله:

وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الحَيِّ مِنّا ❖ وَشَدَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِيْنَا [1]

أي: حين لبس القوم أسلحتهم استعدادا لمواجهة الأعداء وقتالهم أنكرتهم كلاب حيهم وهرَّت نحوهم، ومعروف أن كلاب الحي إنما تنكر الغريب الدخيل الذي لا تعرفه، وقد يكون هذا الغريب عدوا مهاجما سواء أكان إنسانا أم حيوانا.

وأخيرا نجد في معلقة **عنترة** إشارة إلى السباع وعدوانيتها ووحشيتها، ومن ذلك قوله يفتخر بقوته في النزال وشدة بأسه في القتال:

ومُـدَجَّجٍ كَـرِهَ الكُمَـاةُ نِزَالَـهُ ❖ لا مُمْعِـنٍ هَـرَبًا وَلا مُسْتَسْلِـمِ
جَـادَتْ لَـهُ كَفِّـي بِعَـاجِلِ طَعْنَـةٍ ❖ بِمُثَقَّـفٍ صَـدْقِ الكُعُـوبِ مُقَـوَّمِ
فَتَرَكْتُـهُ جَـزَرَ السِّبَـاعِ يَنُشْنَـهُ ❖ يَقْضِـمْنَ حُسْـنَ بَنَانِـهِ وَالمِعْصَـمِ [2]

أي: رُبّ رَجلٍ عظيم تهابه الأبطال لشدة بأسه، عاجَلْتُه بطعنة رمح فألقيته صريعاً، تنهشه السباع وتقضم بنانه معصمه، وهنا تظهر الدلالة العدائية والوحشية للسباع بأنواعها في طريقة تعاملها مع جثة الفارس بتلك الوحشية والعدوانية المفرطة في الجرأة والغلظة والقسوة التي تتبعها مع فرائسها من الحيوانات، إذ لا فرق عندها بين إنسان وحيوان.

ويختم عنترة معلقته بذكر قصته مع هَرَمِ بنِ ضمضم وأخيه حُصين، اللذين قتل عنترة أباهما فكانا يشتمانه ويتوعدانه فلم يخفه ذلك لأنه قد قتل أباهما من قبل، فقال:

إِنْ يَفْعَلا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا ❖ جَزَرَ السِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

أي: إن يتوعّداني وينذرا دمي ويشتماني فسأنتقم منهما وسأقتلهما، وهما يعرفان أني قادر على ذلك، فقد قتلت أباهما وصيرته طعمة للسباع.

(١) ينظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص٢٢٢.

(٢) ينظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص١٣٣.

ويمكن القول هنا إن السباع بأنواعها المختلفة لمّا كانت لا تعيش إلا على لحم غيرها من الأحياء فإنها لهذا السبب تعتبر عدوة للإنسان وعدوة لغيرها من الحيوانات، فإذا ذكرها الشاعر فإنّ طبيعتها العدائية تحضر في ذهن المتكلم والسامع في نفس لحظة التكلم.

ولعله قد اتضح مما سبق أن الدلالة العدائية التي يمثلها جنس السباع وغيره من الحيوانات المفترسة تكاد تكون واحدة عند جميع شعراء المعلقات.

رابعاً: دلالة الحب والجمال

قبل الحديث عن هذه الدلالة في قصائد المعلقات من المهم أن نشير إلى أن ظروف العيش في البيئة الصحراوية وحياة مجتمع البادية المتسمة بالصعوبة والشدة لم تحل دون وجود الحاسة الجمالية لدى الشاعر الجاهلي، ففي قصائد المعلقات ما يدل على امتلاك الشاعر الجاهلي حاسة جمالية تتصف بالصدق والنقاء اللذين تتصف بهما مصادر الإحساس الجمالي في المجتمع العربي الجاهلي، فالحاسة الجمالية عند الشاعر الجاهلي مصدرها جماليات البيئة المحلية المحيطة به، وتتمثل تلك الجماليات في مظاهر ومشاهد مرئية في المكونات البيئية، حيث توجد في كل مكون بيئي أوفي جانب من جوانبه أو في جزء من أجزائه مظاهر جمالية يدركها الإنسان بحاسته الجمالية الفطرية التي وهبه اللّه بها، فيدرك بالنظر والمقارنة بين حالات ذلك المكون أو بين عناصره وأجزائه الفوارقَ التي تميزه بالجمال دون غيره، وتجعله مُحَبّباً إلى النفس مستحسَناً منها.

وبالنظر في قصائد الشعر الجاهلي وفي قصائد المعلقات خاصة فإن مصادر الظاهرة الجمالية التي استقى منها شعراء العصر الجاهلي أحاسيسهم الجمالية تتمثل إجمالا في ثلاثة مصادر رئيسية، هي: إنسانية وحيوانية وطبيعية، أما الإنسانية فتعتبر المرأة أبرز مظهر جمالي في الجنس البشري وأما الطبيعية فمظاهرها الجمالية متنوعة، فالليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والشجر وغيرها من مظاهر الطبيعة تحتوي على عناصر جمالية يدركها الإنسان وخاصة الشعراء كلٌ حسب حالته النفسية والشعورية وظروفه الحياتية، وكذلك الأمر بالنسبة للحيوان فمظاهره الجمالية كثيرة ومتنوعة فقد يكون الجمال متمثلا في الحيوان بأكمله كما عرف عن الغزال وقد يكون ممثلاً في

عضو من أعضائه أو صفةٍ من صفاته أو خاصيةٍ من خواصه، كالعين أو القامة أو العنق أو الشعر أو الصوت أو الحركة .....الخ.

وقد أخذت المظاهر الجمالية في الحيوان حظاً وافراً في قصائد المعلقات، فقد تحدث الشعراء عن جمال الظباء والغزلان وذكروا جمال الناقة وجمال الفرس وتكلموا عن عيون المها وبقر الوحش...إلخ، فلا تكاد تخلو من ذلك قصيدة من قصائد المعلقات، سواءً كان وصفاً مباشرا للمظهر الجمالي في الحيوان أو عن الطريق التلميح إليه والتشبيه به، وكل ذلك يأتي في سياق حالة من الحب والعاطفة الوجدانية التي يكنها الشاعر للحبيبة(المرأة) أو لشيء آخر كالناقة وغيرها، فحيثما ذكر الغزال أو الظبي أو عيون المها في قول شاعر فإنما هو تعبير عن الحب وإشارة إلى جمال المحبوب، وتلك هي دلالة الحب والجمال التي يمثلها جنس الظباء في قصائد المعلقات.

فهذا **امرؤ القيس** يتحدث عن الظباء في سياق حالة من الشعور العاطفي والإحساس الوجداني في لحظة مروره بموقف جمالي أثار عاطفته وحرك مشاعره وإحساسه، وهو منظر الحبيبة وجمالها الملفت، فلم يجد في ذهنه مشهداً جمالياً يوازي أو يشابه ذلك المنظر إلاَّ منظر الظبية، فعمد إلى تصوير جمال الحبيبة وتشبيهه بجمال الظبية في قوله:

تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أسِيْلٍ وَتَتَّقِي ❖ بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ[1]

أي: إن الحبيبة تعرض عني وتظهر خدها الأسيل، وتسقبلني بعينين جميلتين تشبهان عيون ظباء وجرة أو عيون المها التي لها أطفال، و"خصهن لنظرهن إلى أولادهن بالعطف والشفقة وهي أحسن عيونًا في تلك الحال منهن في سائر الأحوال"[2].

وهكذا يقارن امرؤ القيس بين جمال الحبيبة وجمال الظبية، كما في قوله:

وجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ ❖ إِذَا هِيَ نَصَّتْـهُ وَلاَ بِمُعَطَّـلِ

(١) ينظر: ديوانه، ص٤٢.

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني، ص٥٣.

أي: وتكشف الحبيبة عن عنق جميل كعنق الظبي، شبه عنق الحبيبة في حال رفعها عنقها بعنق الظبية البيضاء الخالصة البياض المعتدلة الارتفاع، ثم ذكر أنه لا يشبه عنق الظبي في التعطل عن الحلي.

وكما يظهر فإن استحضار الشاعر للظبي في البيتين قد تم في سياق أو حالة من الشعور الوجداني والإحساس العاطفي الذي أثاره جمال الحبيبة، ومن ثَمّ فإن ذكر الظبي يتضمن دلالة جمالية في ذهن الشاعر، وأساس وجود هذه الدلالة هو ثبوت التوافق العرفي على وجود المظهر الجمالي في حيوان الظبي في عُرف المجتمع الجاهلي وثقافته.

ويمكن القول إن جنس الظباء كان رمزا للجمال في التصور العربي، بدليل أن دلالته الجمالية لم تكن في جمال العينين فحسب، بل في قوامه وتكوينه الجسمي كله، يظهر ذلك في قول امرئ القيس يصف فرسه:

لَهُ أَيْطَـلا ظَبْـيٍ وَسَاقَا نَعَـامَةٍ ❖ وإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلِ

فالشاعر يتحدث عن الفرس وجمال هيئته العامة فذكر له عددا من الصفات التشبيهية التي تعبر عن كمال المنظر وحسن الهيئة، ومن ذلك تشبيه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في ضمور بطنه، وهي صفة لا تدل على قوة الفرس فحسب بل تدل أيضا على جمال هيئته وحُسن منظره، إذ إن الفرس الضامر البطن أجمل من الفرس المترهل بطنه.

ويشير امرؤ القيس في موضع آخر إلى دلالة جمال الظباء ومثيلاتها من صغار بقر الوحش ولكن بطريقة التشبيه المعكوس، وذلك في قوله يصف مشاهد رحلته للصيد:

فَعَنّ لنا سِرْبٌ كأنّ نِعاجَه ❖ عَذارَى دَوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

أي: "فعرض لنا وظهر قطيع من بقر الوحش كأن إناث ذلك القطيع نساء عَذارَى يطفن حول حجر منصوب يطاف حوله في ملاءٍ طويلةٍ ذيولُها، فشبه المها في بياض ألوانها بالعذارى، لأنهن مصونات في

الخدور لا يغير ألوانهن حر الشمس وغيره، وشبّه طول أذيالها وسبوغ شعرها بالملاء المذيل، وشبّه حسن مشيها بحسن تبختر العذارى في مشيهن" [(١)].

فالتشبيه هنا معكوس، لأن الأصل هو تشبيه المرأة بالظبية في حسنها وجمالها، ولكن الشاعر عكس المسألة فشبّه جمال الظباء بجمال النساء العذارى، وهذا يؤكد من وجه آخر ثبوت الدلالة الجمالية لحيوان الظبي.

ويؤكد امرؤ القيس الدلالة الجمالية للحيوان المتمثلة في الظباء وبقر الوحش، فيقول:

فأدْبَرْنَ كالْجزْعِ الْمُفَصَّلِ بَيْنَهُ ❖ بِجِيدٍ مُعَمٍّ في العَشيرَةِ مُخْوَلِ

فقد "شبه بقر الوحش بالخرز اليماني؛ لأنه يسوَّدُ طرفه وسائره أبيض، وكذلك بقر الوحش تسوَّدُ أكارعُها وخدودها وسائرها أبيض، وشرط كونه في جيدٍ مُعِمّ مُخوِل؛ لأن جواهر قلادة مثل هذا الصبي أعظم من جواهر قلادة غيره، وشرط كونه مفصلًا لتفرقهن عند رؤيته" [(٢)]، فالمشهد هنا مشهد جمالي ملفت، وهو مشهد سِرب البقر الوحشي الأبيض المرقط ببعض السواد، وسر جماله في اختلاف ألوانه التي تُذَكِّر بمنظر جمالي آخر وهو جمال حبات الخرز الملونة المنظومة في خيط متدلٍ في عنق صبي جميل.

وفي معلقة **طرفة** تذكر الدلالة الجمالية للظباء في سياق حالة من الإحساس العاطفي والشعور الوجداني تجاه الحبيبة التي شبهها بالظبي في قوله:

وفي الحيِّ أحوى ينفضُ المردَ شادنٌ ❖ مُظاهِرُ سِمْطَيْ لُؤلُؤٍ وَزَبَرجَدِ [(٣)]

أي: وفي ذلك الحي توجد الحبيبة الجميلة التي تعددت فيها مظاهر الجمال، فهي تشبه الظبي في كحل العينين وحوة الشفتين وطول العنق، وفضلا عن ذلك فهي:

(١) ديوان امرئ القيس شرح المصطاوي، ص ٦١.

(٢) ينظر: شرح المعلقات السبع، للزوزني، ص٧١.

(٣) ينظر: ديوانه، ص٢٠.

خَذُولٌ تُراعي رَبْرَباً بخَميلةٍ ❖ تَناوَلُ أطرافَ البَريرِ وتَرتَدي

يصف الحبيبة وقد تشاغلت عنه بالظبية في حالة انشغالها عن ولدها بالرعي مع القطيع، ووجه الشبه هو الحب والتشاغل، أي: تشاغل الحبيبة عن محبوبها وتشاغل الغزالة عن ولدها، والحبيب في حالة تشاغله عن المحبوب يكون أكثر حسنا وجمالا في عين من يحبه، وبهذا التصوير والتشبيه تتضح الدلالة الجمالية للظبي.

ونجد الأمر نفسه في قول **لبيد** في معلقته يصف مشهد رحيل نساء القوم:

زُجَلاً كأنّ نِعَاجَ تُوضِحَ فَوْقَهَا ❖ وظِباءَ وجرَةَ عُطَّفاً آرَامُهَا (١)

فقد شبه نساء القوم ـ وهن مرتحلات عن الحي على الهوادج ومعهن الحبيبة ـ بالظباء البيضاء الخالصة البياض، وشبه حسن أعينهن بحسن أعين الظباء في حال ترحمها على أولادها أو في حال عطفها أعناقها للنظر إلى أولادها، لأن عيونها أحسن ما تكون في تلك الحالة لكثرة مائها، وهنا يمتزج الجمال بالحب وبالعاطفة الجياشة التي أثارها مشهد الرحيل وفراق الأحبة.

وعلى نحو ما سبق نجد **عنترة** يتحدث في معلقته عن الحبيبة التي صادف رؤيتها على حين غفلةٍ من أهلها، فالتفتت إليه بجيد كجيد الرئم، أي: بعنق جميل أبيض يشبه عنق الرِّئم أو الرشأ، والمراد به ولد الظبية الذي قوي على المشي، وهو نوع من الغزلان الجميلة التي في شفتيها العليا وأنفها بياض، وفي ذلك يقول:

وَكَأَنَّمَا التَفَتَتْ بجِيدِ جَدَايَةٍ ❖ رَشَأٍ مِنَ الغِزْلانِ حُرٍّ أَرْئُمِ

أي: كان التفاتها إلينا يشبه التفات ولد الظبية في الحسن والجمال وفي عينيها ما فيهما من السحر والرقة والجمال الذي يفتن المحب ويأسر لبه.

(١) ينظر: ديوانه، ص١٠٨.

وهكذا نجد أن الظباء في الشعر الجاهلي ممثلا في قصائد المعلقات تتضمن دلالة على الحب والجمال، وهذه الدلالة يمكن الوقوف عليها في الأبيات التي كان الشاعر يقارن فيها بين المظاهر الجمالية للإنسان (المرأة) والمظاهر الجمالية للحيوان (الغزال)، وأن تلك المقارنات كان يقوم بها الشاعر عندما يعيش حالة من الحب والشعور العاطفي والتأثر بالمظهر الجمالي للحبيبة، فيعبر عن ذلك بتشبيه جمال المرأة الحبيبة بجمال الظباء والغزلان وصغار بقر الوحش (المها)، وهنا تتجلى دلالة الحب والجمال في ألفاظ الحيوان ممثلة في جنس الظباء.

الخاتمة

كان الشاعر الجاهلي يعبّر بالشعر عن أفكاره ومشاعره وآماله، ويفصح به عن آلامه وأحزانه، ويسجل به خبراته وتجارب مجتمعه، ومن ذلك حديثه عن الحيوان وعلاقته به ومكانته في حياته، فقد جعله الشاعر الجاهلي عنصراً أساسياً في بنية القصيدة، وجزءاً مهماً من فكرتها وموضوعها، وهو بذلك يترجم واقعا عاشه الإنسان العربي كان الحيوان فيه عنصراً رئيساً من عناصر الحياة الجاهلية.

وقد بينت الدراسة أن حديث شعراء المعلقات عن الحيوان لم يكن بمعزلٍ عن معانى الحياة ومفرداتها، بل كانت له دلالة معينة اتفق فيها الشعراء جميعهم، كما بينت الدراسة أن لفظ الحيوان قد ذكر في قصائد المعلقات في أكثر من مائة موضع بين اسم وصفة، وأن مجموع ما ذُكِر من أسماء الحيوان وصفاته ينضم كله في إطار أربع مجموعات رئيسية، تعبّر كل مجموعة منها عن دلالة سياقية معينة لدى جميع الشعراء، فمجموعة الخيل تدل على القوة والغلبة، ومجموعة الإبل تدل على الحاجة والمنفعة، ومجموعة السباع تدل على العداء والتوحش، ومجموعة الظباء تدل على الحب والجمال، فالفرس مثلاً هو مدلول يرتبط بدلالة القوة كوسيلة للغلبة، والناقة مدلول يرتبط بدلالة الحاجة والمنفعة، فالحاجة يستلزمها الشعور بالجوع والظمأ، والمنفعة تقتضي تلك الحاجة، والحيوان المفترس والسباع المتوحشة مدلولات ترتبط بدلالة العداء والصراع والتنازع في حياة الشاعر، وكذلك الظبية أو الغزال تعد مدلولا جماليا له ارتباط بدلالة الحب والجمال، وقد ربط الشاعر الجاهلي بينها وبين المرأة كأعظم مدلول جمالي معبر عن دلالة الحب والجمال.

قائمة المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
- بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا ـ عادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.
- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ.
- جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تحقيق: أحمد عبد السلام، محمد سعيد زغلول، الطبعة: الأولى، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- حياة الحيوان الكبرى، لأبي البقاء كمال الدين محمد بن موسى الدمري، (ت٨٠٨هـ) الطبعة: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- الحياة العربية من العصر الجاهلي، للدكتور أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٥٢م.
- الحيوان في القرآن الكريم، لزغلول راغب محمد النجار، الطبعة: الأولى، دار المعرفة، لبنان، ٢٠٠٦ م.
- الحيوان، للجاحظ تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة: الثانية، مكتبة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٦٥م.
- الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٩٩٩م.
- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، للدكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دار المنار، القاهرة، ١٩٩١م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- دور الكلمة في اللغة، لستيفن أولمان، ترجمة وتقديم وتعليق: الدكتور كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة، القاهرة، الطبعة: الثانية عشرة، (د.ت).
- ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

- ديوان طَرَفَة بن العَبْد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٢م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
- شرح المعلقات التسع، المنسوب لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ)، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزَّوْزَني، (ت ٤٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- صورة الناقة في القصيدة الجاهلية بين الوظيفية الشعرية وإنتاج الدلالة الرامزة، للدكتور سعيد حسون العنبكي، مجلة كلية اللغات.
- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، للدكتور فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٢م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- الغريب المصنف: لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) تحقيق: محمد مختار العبيدي، الطبعة: الثانية، دار مصر للطباعة، ١٩٩٦م.
- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، ضبط وتحقيق: ياسين الأيوبي، الطبعة: الثانية، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة: الثامنة، مؤسسة الرسالة، لبنان، ٢٠٠٥م.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
- اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ٢٠٠٤م.
- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.
- المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، (د.ت).

معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.